وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أكلي محند أولحاج – البويرة –

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم العلوم الإنسانية (تخصص تاريخ)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ الوسيط (الإسلامي)

موسومة بـــ:

الروابط العلمية والثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى خلال العهد الحمادي المرابطي (5-7ه / 11-13م)

إعداد الطالبة:

- داية مدربل

إشراف الأستاذ:

- أوكيل مصطفى

السنة الجامعية: 1435-1436هـ / 2014-2015م

الإهداء

حينما يكون العطاء فاعلا والجهد مميزا والثمرة ملموسة

عندما يكون للإهداء معنى

وللثناء فائدة

وللتكريم مكرمة

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار.. إلى من علمني العطاء بدون انتظار ..

إلى من أحمل اسمه بكل افتخار والدي أرجوا الله أن يمد في عمره ليرى ثمارا قد حان قطفها بعد طول الانتظار

إلى ملاكي في الحياة.. إلى معنى الحب والتفاني وبسمة الحياة إلى من كان دعائها سر نجاحي أمي الحبيبة

إلى القلوب الطاهرة رياحين حياتي (أخواتي وأخواتي)

إلى ابنتي أختي الغالية" ضـــاوية"

إلى زوجي الكريم " بلقاسم " الذي كان لي نعم السند ونعم المعين ونعم المريح منذ بداية البحث إلى غاية كتابته وطبعه.

إلى من زرعوا التفاؤل بدربنا وقدموا لنا المساعدات والتسهيلات والأفكار والمعلومات ربما دون أن يشعروا بدورهم في ذلك

الشكر

بسم الله الرحمن الرحيم

إلهي لايطيب الليل إلا بشكرك ... ولايطيب النهار إلى بطاعتك ولاتطيب اللحظات إلا بذكرك ولاتطيب الآخرة إلا بعفوك ولاتطيب الجنة إلا برؤيتك.

نشكر الله جل جلاله على أن مدنا بالصبر والقوة لإنهاء هذا العمل

لابد لنا ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة تعود إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة فإنه لمن دواعي الامتنان أن أتقدم بالشكر إلى أستاذي الفاضل المشرف على صبره وتوجيهاته ودعمه في ادارة هذا العمل .

إلى الأستاذة الفاضلة "ذهبية محمودي" جزيل الشكر

ثم الشكر الوافر لكل أساتذة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ونخص بالذكر أساتذة قسم علم التاريخ على دعمهم العلمي ولجميع الطلبة وليجازيهم الله خير جزاء.

والشكر الموصول بالتقدير والعرفان إلى كل من كان في عوننا وفيا من قريب أو بعيد.

إليهم جميعا أهدي هذا العمل.

مقدمة

تعتبر الدولة الحمادية (408 هـ- 574 هـ/ 1008 م- 1125 م) والتي قامت بالمغرب الأوسط والدولة المرابطية (454هـ- 541هـ/ 1056 م – 1147 م) التي تأسست بالمغرب الأقصى .من بين هذه الدول التي عرف تواجدها في هذه المنطقة أحداثا تاريخية وسياسية وثقافية متنوعة، فكلاهما ترك لنا آثارا مادية ومعنوية لازالت تترجم لنا المستوى الحضاري الذي وصلا إليه.

إن الدارس لتاريخ هاتين الدولتين يدرك للوهلة الأولى أن لكل منهما معطيات تاريخية وحضارية جعلتهما يقيمان دولتيهما ويصلان بهما إلى مصاف الدول التي كانت لها باع أنداك، فبجاية حاضرة الحماديين كانت لزمن ليس بالوجيز محطة للفقهاء والعلماء مما نشط الحركة الثقافية والعلمية بها، وما بقى من آثار مادية كالكتاتيب والزوايا والمدارس والمؤلفات العلمية بمختلف تخصصاتها إلا دليل على ما سبق ذكره، ونفس الشيء للدولة المرابطية حاضرة مراكش بالمغرب الأقصى وتلمسان والجزائر بالمغرب الأوسط حيث هذه الأخرى كان لها الحظ الأوفر من حيث ازدهار الحركة الفنية بمختلف أشكالها سواء تعلق الأمر بالعمران أو الصنائع أو التأليف وغيرها ونلحظ هذا جليا على طول الأراضي التي امتد إليها نفوذها. فلا يخلو أي مؤلف تاريخي من معلومات حول العلاقة الوطيدة التي تربط هذه الدولة بالأندلس والتمازج الكبير بينهما خاصة في الجانب الفني.

كما انتعشت الحياة الثقافية بجمهور من العلماء والمفكرين والأدباء الذين ساهموا في ترقية هذا التراث الإسلامي ومن هذا المنطلق ستكون لنا صورة واضحة وجلية عن موضوع الدراسة

وعلى هذا الأساس يمكن حصر أهمية الموضوع في كونه يسلط الضوء على جانب مهم من جوانب التاريخ الثقافي لبلاد المغرب الإسلامي وكان اختياري له مبنيا على عوامل موضوعية تتعلق بضرورة البحث في تاريخ العلاقات والروابط العلمية بين بلاد المغرب الأوسط والأقصى ومدى أثرها على البلاد الإسلامية، ولعل اهتمام المؤرخين و الباحثين بالشقين السياسي و العسكري على حساب الدور الحضاري و العلمي الذى قامت به الدولتين دفعني الى اتمام وضع لبنة أخرى في صرح هذا البناء المتكامل للدراسات التاريخية ,وكذا الوقوف على التطورات السياسية التي عرفتها الدولتين خاصة التي لها صلة وعلاقة بالحياة الثقافية و العلمية. و دراسة الجوانب الحضارية في هذا الطور دراسة متكاملة وجمع ما تفرق من أخبارها. و لدراسة هذا الموضوع قسمت بحثي هذا إلى ثلاثة فصول رأيتها ضرورية لذلك، حيث خصصت الفصل الأول لدراسة الحياة الثقافية والعلمية في العهد الحمادي بشكل عام وركزت على مظاهر الحركة العلمية بعاصمتيها" القلعة "وبجاية وما بلغاه من تقدم وازدهار فكري للفترة المدروسة فعالجت في الفصل الأول مطاهر النشاط الفكري والثقافي بالمغرب الأوسط من خلال ابراز دور بجاية كمركز إشعاع ثقافي والخلفية التاريخية لذلك و التطرق إلى أبرز المؤسسات التعليمية من لمساجد والمدارس والكتاتيب والزوايا وكذلك نظام التعليم فيها ثم أشهر العلماء الذين تخرجوا من هذه المؤسسات في مختلف الأصناف العلوم النقلية والعقلية وكذا تطرقت إلى الفن المعماري الحمادي وأشهر ما عرف من التقدم في القصور والمساجد التي أبدعت الحضارة الحمادية في تشييدها

ثم تناولت في الفصل الثاني الحياة الثقافية والعلمية في عهد المرابطين من خلال ذكر نبذة عن قيام دولة المرابطين في المغرب وتتبعت بالدراسة أصل المرابطين ونشأتهم في الصحراء والدور الذي لعبه الداعية الفقهية عبد الله بن ياسين وكذا ذكر أهم المؤسسات التعليمية ونظام التعليم ومشاهر العلماء والمكانة التي حضي بها العلماء لدى أمراء وولاة المرابطين. و الحديث عن الحياة الأدبية والعلمية فقد أشرت إلى أهم العلوم النقلية والعقلية وأهم الشعراء الذين ذاع صيتهم أنداك و كما أدرجت الحديث عن أهم الفنون المعمارية البارزة و ظلت باقية على مر الدهور.

أما الفصل الثالث فخصصته لدراسة الجسور والروابط العلمية بين المغربين الأوسط والأقصى أو العوامل المؤثرة في ربط وتمتين العلاقات الثقافية بينهما و كما تطرقت للحديث عن العلاقات بين الحكام الحماديين والمرابطين ودورهم في تشجيع الحركة العلمية وأثر ذلك على العلاقات الثقافية، وكذا دور الهجرات والرحلات العلمية بين المغربين الأوسط والأقصى في ربط العلاقات الثقافية مركزين على الرحلة في طلب العلم وحركة الطلبة والعلماء. و ابراز التلاقح الحضاري بين المغربين من خلال دور و مساهمة علماء المغرب الأوسط في ازدهار و تنشيط الحركة الثقافية و العلمية في بلاد المغرب الأقصى خلال القرن 5هـ -6هـ/11م-13م وذلك في ميدان التدريس و الأقراء و التأليف .و معرفة مدى مساهمة علماء المغرب الأوسط في مد جسور التواصل الثقافي بين المغرب الأوسط والأقصى بالرغم من الظروف السائدة وقتئذ

وختمت البحث بخاتمة هي عبارة عن استنتاجات عامة و اجابة عن التساؤلات المطروحة كما أرفقته بملاحق لأثرائه

أما المنهج المتبع في هذه الدراسة فيتمثل في المنهج التاريخي التحليلي المقارن الذي استعملته لتتبع الفترات التاريخية للدولتين، والمنهج الوصفي لوصف المنشآت المعمارية كالكتاتيب، والزوايا والمساجد والمدارس.. الخ. والمنهج المقارن لتسليط الضوء على أوجه الاختلاف والتشابه بين الدولتين خاصة في الجانب العلمي .

أما بالنسبة للمصادر التي اعتمدت عليها و ساعدتني الأثراء هذا البحث أذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض المصادر كعبد الرحمن بن خلدون (ت 808 هـ) فهو مغربي مشهور فضلا عن أنه زار بجاية وأقام بقلعة سلامة، والمرجح أنه كتب معظم كتابه "المقدمة" في أرض المغرب العربي وعلى رأسها الجزائر. فنحن لا نكاد نلمح في كتابه العبر ما ينفع كثيرا في تصوير الحياة الفكرية والثقافية بالنسبة لدولة بني حماد والدولة المرابطية وإن كانت المقدمة قد كانت أمدتنا ببعض المعلومات المفيدة في هذا الجانب من خلال بعض الصفحات وهي كذلك معلومات قليلة وعامة

ومن المصادر ذات القيمة بالنسبة لهذا البحث لسان الدين بن الخطيب (776هـ) معاصر ابن خلدون و الذى توفر لها الاتصال المباشر بالمغرب مثله كما يلاحظ انه كان أقل تحليلا من ابن خلدون فيما يخص بعض الوقائع التاريخية كتحديده لوفاة يحي أخر أمراء الدولة الحمادية

ولا يقل كتاب ابن عذارى المراكشي (712هـ/1112م)من خلال كتابه "البيان المغرب" في فائدته للحديث عن الدولة الحمادية و المرابطية في كثير من المحطات التاريخية الهامة التي مرتا بهما و ان جاءت معلوماته متناثرة فذلك شأن كثير من الكتب ,فهو يعتبر من أهم المصادر لدراسة تاريخ المغرب و الأندلس و لا يمكن لأى باحث الاستغناء عنه سيما عند تأريخه لدولة المرابطين . كما أفادتني بعض هذه المصادر في تصوير الجانب الحضاري و الفكري للدولتين "كالتكملة" والحلة السيراء" لابن الآبار (685 هـ)، ومعجم البلدان لياقوت الحموي(626 هـ) وعنوان "الدراية " لابن العباس الغبريني(ت 714.هـ) فهو من أنفس الكتب وأغزرها مادة فإلى جانب الفائدة من تراجم الرجال ومشايخ العلم فإن الكتاب يعد مادة مصدرية ومهمة لكثير من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ولاسيما ما يهم الحياة الثقافية التي نجح الغبريني في تكوين صورة متكاملة عنها حيث جمع في كتابه أكثر من مائة ترجمة لعلماء وأدباء عاشوا في بجاية نهاية القرن 6 هـ، والقرن 7 هـ فليس من المبالغة القول بأن الغالب هؤلاء امتدادا ثقافيا وحضاريا وأنهم دليل ناصع على تلك النهضة العلمية التي رعاها الحماديون في بجاية. كما أفادى البكري في كتابه "المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب" (ت 487ه/1113م) الذى يعد من المصادر الجغرافية الهامة لاسيما أن انه عاصر المرحلة الأولى من قيام الدولة المرابطين فأمدني بمعلومات قيمة قلما نجدها في المصادر الأخرى عن خروج المرابطين من الصحراء إلى غاية تأسيسهم لمدينة مراكش واستفدت منه خاصة في وصفه

الدقيق للمدن المغربية ومدن السودان الغربي. إلا انى وجدت صعوبة من ناحية الأسلوب خاصة عند شرحة لبعض المدن فهو يعتمد على بعض الكلمات و المصلحات يصعب فهمها .

كما استعنت بكتاب" الاستبصار" لمؤلف مجهول و كتاب الحميري "الروض المعطار" فهما يعتبران من المصادر التي يعتمد عليها في دراسة الجانب العلمي والحضاري سواء في المغرب أو غيرها من الأقطار للمعلومات القيمة التي يزخر بها الكتاب. بالإضافة إلى المصادر المغربية التي أرخت للدولة المرابطية والحمادية فتمكنت بواسطتها من رصد مختلف المعلومات ومن هذه المصادر كتاب "الحلل الموشية في الأخبار المراكشية" لمؤلف مجهول و"الأنيس المطرب" لابن ابى زرع وكتب التراجم منها خصوصا كتاب" وفيات الأعيان" لأبن خلكان في ترجمته لحياة بعض ملوك الزيرين المرابطين و الحماديين وغيرهما.

وقد أسهمت بعض الدراسات الحديثة في هذا البحث ومن أبرز هذه الدراسات كتاب جنيرال دوبليه عن قلعة بني حماد وكتاب جورج مارسيه وكذا كتاب عبد الرحمان الجيلالي و مبارك الميلي و ما كتبه عثمان الكعاك أكثر الكتابات الحديثة اهتماما بالدولة الحمادية و انصافا لها بالإضافة إلى بعض الدراسات الأخرى كقيام دولة المرابطين لحسن أحمد محمود و بعض الدوريات الجزائرية كمجلة الأصالة وعصور .وفيما يخص الدراسات السابقة لم أعثر على أية دراسة تاريخية مستقلة تتكلم وبصورة مباشرة عن العلاقات العلمية بين الحماديين والمرابطين فككل بحث علمي فهو لا يخلو من الصعوبات، كون التساؤل المطروح يتطلب دراسة معمقة لما جاء في المصادر والمراجع من أجل الحصول على عدة أسطر تمت إلى موضوع بصلة

وكذلك. للتوصل للإجابة بصورة دقيقة عنه لكن ضيق الوقت الممنوح لتحضير هذا البحث غير كافي على الإطلاق لإجراء هذه الدراسة ,غموض الجانب العلمي الثقافي والحضاري لكلا الدولتين وتفرقة بين مصادر كثيرة.

لعل المكانة التي كانت تتمتع بها الدولتين يرجع بالدرجة الأولى الى النزعة العلمية و الثقافية التي كان يتميز بها بعض سلاطين و أمراء بنى حماد و المرابطين الذين كانت لهم ادارة قوية و رغبة شديدة و جهود مستمرة امتازوا بها في ميدان الحركة الفكرية بصفة عامة ورعاية معتبرة للفنون و الأدب و العلوم الشرعية على وجه الخصوص ,و عنايتهم الدائمة هذه جعلتهم يشجعون العلماء و الفقهاء و الأدباء و يستقبلونهم من مختلف الحواضر المغربية و الأقطار الإسلامية وهذا ما اعطى دافع كبير لربط وتمتين جسور العلاقات وكذا الاحتكاك و التواصل الذى بين هاتين الدولتين خاصة في المجال العلمي والفكري لما عرفوه في هذا المجال و شغفي لمعرفة هذا الأمر جعلني اطرح التساؤلات التالية .

1- هل وجدت علاقات علمية بين الدولتين وان كان كذلك ففيما تتمثل هذه الروابط و العلاقات؟

2- ماهي ابرز عوامل الاتصال الثقافي بين المغربين الاوسط و الاقصى؟

3- وما مدى مساهمة هذه العلاقات و الروابط العلمية في تشكيل معالم الوحدة الثقافية الاسلامية بين المغرب الاوسط و الاقصى؟

4- ما هو دور و مساهمة علماء المغربين في تشجيع الحركة العلمية؟

الفصل الأول

نبذة تاريخية عن الحماديون:

كانت الدولة الحمادية في عصرها من أقوى الدول واعتاها في التاريخ ، زالت الدولة الحمادية بعد أن دامت سطوتها حوالي 134 عاما منذ سنة 398هـ/ 1008م، إلى سنة547 هـ/ 1152 م

أسس الدولة الحمادية حماد بن بلكين[1] بعد أن انفصل عن الدولة الزيرية وأقام عاصمتها في موقع حصين على بعد 36 كلم من مدينة المسيلة في أحضان جبال عياض (المعاضيد حاليا) بنى القلعة التي أصبحت فيما بعد عاصمة للدولة الحمادية كما أجبر حماد بن بلكين سكان المسيلة وحمزة على الانتقال للقلعة لتشديدها والاقامة بها[2] .

فهي إحدى القوى السياسية التي قامت بالمغرب الأوسط ضمن الجزء الذي تبلور إداريا منذ القرن الثالث الهجري للدلالة على القسم الغربي من الدولة الاسلامية ومنه يحدد إطاره الجغرافي بين بجاية شرقا وراء تلمسان غربا[3] . من مدينة بونة شرقا كحد فاصل بين المغربين الأوسط والأدنى وإفريقية إلى مدينة تلمسان وما ولاها كفاصل بين الأوسط والأقصى.

[1] - هو حماد بن بلكين بن زيري بن مناد، مؤسس الدولة الحمادية، في نهاية القرن الرابع الهجري، وينتمي إلى قبيلة صنهاجة التي كانت تقيم بشمال البلاد التي ساندت الفاطميين عند تأسيسها بالمغرب، الغبريني المصدر السابق، ص143

[2] - أبو عبيد الله البكري، **المسالك والممالك**، ج 2، تحقيق فان لويغن، وأندري فيري، الدار العربية للكتاب تونس، 1992، ص 95.

[3] - نفسه، ص 102.

- ارتبط اسم هذه الدولة باسم مؤسسها " حماد بن بلكين" 398هـ – 419 هـ/ 1028م بدءا بالحركة الانفصالية الناجحة التي قام بها سنة 405 هـ/ 1014 م عن الدولة الأم الزيرية[1] بعد المكاسب التي حققها كرجل حرب إذا استطاع بالتكليف من ابن أخيه باديس بن المنصور " سنة 387 هـ/ 997 م من قهر الزناتين على الحدود الغربية للمملكة وتسييرها لشؤون المغرب الأوسط من جبل الأوراس شرقا إلى تلمسان وملوية غربا بموافقة من باديس[2] . ومازدا في تشجيعه على ذلك بناءه للقلعة التي اشتهرت باسمه واسم بنيه " قلعة بني حماد" سنة 398 هـ/ 1006 – 1007 م فاستغل محاولة ابن أخيه في التفويض حدود ولايته فكانت سببا مباشرا لإعلان المواجهة العسكرية بين الطرفين وإيذانا بانقسام ملك الدولة الصنهاجية[3] إلى فرعين المغرب الأدنى والمغرب الأوسط فانقسام تاريخها من التأسيس حتى سقوط مر بثلاث فترات:

الفترة الأولى: (405- 443هـ/ 1014 – 1051 م) انطلاقا من إنشاء حماد القلعة سنة 398 هـ/ 1007 م مرورا بنجاح حركته الاستقلالية سياسيا ومذهبيا عن الخلافة الفاطمية ومذهبها الشيعي وإعلان ولائه للدولة العباسية ورجوعه للمذهب السني ابتداء من سنة 405هـ/ 1014 م[4] .

---

[1] - بونة عنابة حاليا، من بلاد افريقيا وهي مدينة قريبة وبها آثار كثيرة مساجد وأسواق وحمامات، وهي ذات زروع وتمور. نفسه .ص133

[2] - شارل أندري جوليان، **تاريخ افريقيا الشمالية تونس، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830** م، تعريب محمد مزالي، ط 2، الدار التونسية للنشر، 1985، ص 76-78.

[3] - جوليان ، المرجع السابق . ص 80

[4] - عبد الحميد زغلول، **تاريخ العرب القديم**، منشآه المعارف الإسكندرية، ج 3، د ت، ص 72.

* يلاحظ أن الحماديين قد استقلوا عن الفاطميين قبل أبناء عمومتهم الزيرين.

الفترة الثانية . 443_481هـ 1051_1082م

شهدت فيها الدولة الحمادية أوج عظمتها اتساعا وحضارة وثقافة ونتيجة للدور المعتبر الذي قام به الأمير " الناصر بن علناس" [1]ومنها تحويله لعاصمة الدولة من القلعة إلى بجاية سنة 460 هـ/ 1067م ومحاولة منه عزل وفتح أفاق جديدة لدولته الحمادية بالمغرب الأوسط[2].

الفترة الثالثة: 481 – 547هـ/ 109 – 1125 م

وفيها تقلص نفوذهم تدريجيا رغم نشاطهم البحري الكبير في صد النورمان المسيحين ووضع حد لتواطؤ حكام إفريقية معهم من خلال حملات " العزيز بن منصور" [3] شهد المغرب الأوسط خلال عهد الحماديين 405هـ/ 547هـ نشاطا ثقافيا وحركة علمية ملحوظة ميزها اهتمام الحكام الحماديين بالعلم والعلماء بالإضافة إلى أن التعليم يعد من العوامل المؤثرة في نمو الحياة الثقافية والحركة العلمية، وفي الوقت نفسه مظهرا من مظاهر الازدهار الثقافي والعلمي.

[1] - الناصر بن علناس، بن حماد بن بلكين، 454 هـ 481 هـ وهو خامس ملوك الدولة الحمادية وأشهرهم، وفي عهده بلغت الدولة أوج عظمتها، سعى إلى تخطيط بجاية بعد اقتراح من وزيره ابن البعبع، قتل من طرف الهلاليين. الغبرينى .المصدر السابق .ص147

[2] - محمد شيت الخطاب، **قادة فتح المغرب العربي**، دار الفكر، ط 7، د ت، ص 156.

[3] - الخطاب . المرجع السابق ، ص 127.

وكان يتم في المؤسسات التعليمية التي أنشأت بالقلعة[1].وبجاية[2]. وباقي مدن المغرب الأوسط من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا، وكان يمر عبر مراحل تدريجية يتم فيها تحصيل مختلف المبادئ الأساسية للعلوم والمعارف ثم التعمق في المسائل الفرعية

أولا: المؤسسات التعليمية

1) الكتاتيب:

تعتبر الكتاتيب القرآنية من أقدم أنواع المؤسسات التعليمية في العالم الإسلامي، هو جمع كتاب وهو مشتق من التكتيب وتعليم الكتابة[3]. فهي تعد المؤسسة التعليمية الأولى عند المسلمين ظهرت في **عهد** "**الرسول صلى الله عليه وسلم**" وتمثلت وضيفتها الأساسية في التربية الإسلامية، وزاد انتشارها بعد الفتوحات خاصة في بلاد المغرب بسبب تحمس الناس لتعلم القرآن الكريم[4].

[1] - مدينة متوسطة بين أكم وأقران لها قلعة عظيمة على جبل يسمى تاقربوست تشبه في التحصن ما يحكي عن قلعة أنطاكيا، وهي قاعدة ملك بني حماد بن يوسف الملقب بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي البربري، وهو أول من أحدثها سنة 370 هـ، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، ج4، دار صادر بيروت , د ت ، ص 390.

[2] - مدينة قديمة كانت عاصمة لبني حماد وصارت خلال القرن 8 هـ/ 14 م، عاصمة لفرع من الحفصيين وكانت تعرف ازدهارا تجاريا وثقافيا وكبيرا، الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ج 2، ترجمة محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1983، ص 13.

[3] - حسان عزوزي، **التأليف في القراءات المغرب والأندلس**، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد الأول، 1993، ص 241.

[4] - عبد الحي الكتاني، **التراتيب الإدارية** , ج 2 . دار الكتاب العربي .د ت, بيروت ص، 293.

و كانت كتاتيب القرون الأولى للإسلام عبارة عن حجرات صغيرة وبسيطة ومجاورة للمساجد وقد زاد عددها بكثرة مع توسع العمران وإنشاء المدن الجديدة[1].

وكانت هذه الكتاتيب منتشرة بالمدن والقرى بالمغرب الأوسط تخصص للتعليم الصبيان الصغار بدلا من تدريسهم في المساجد المخصصة للصلاة، فقد ذكر سحنون نقلا عن الإمام مالك رضي الله عنه[2]. أنه – أفتى بعدم جواز تعليم الصبيان في المساجد المخصصة للصلاة حفاظا على طهارتها[3].

وكانت تقوم بالدرجة الأولى على تعليم بعض المبادئ في الكتابة والقراءة، خاصة تحفيظ القرآن الكريم لذلك عرفت إقبالا كبيرا، إذ كان سكان المغرب الأوسط شديدي الحرص على تحفيظ القرآن الكريم لأولادهم على غرار باقي المسلمين نظرا لما ورد ذلك في نصوص الشرعية كقوله تعالى« لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون»[4].

---

[1] - محمد أسعد طلس، **التربية والتعليم في الإسلام.** دار العلم، للملا يين، بيروت 1957، ص 77. 78.

[2] - محمد سحنون، **كتاب أداب المعلمين**، تحقيق محمود عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر، ص 87.

[3] - يظهر لي أن المدارس بمفهومها الحقيقي لم تظهر في القرون الأولى للإسلام بل جاءت متأخرة وخاصة في المغرب الأوسط، بحيث يعود طهورها إلى مطلع القرن الثاني الهجري والرابع عشر ميلادي و قيل الى عهد الموحدين

[4] - سورة **الحشر**، الآية 21،.

وسائل الكتاب ومستلزماته:

نظرا لبساطة الكُتَاب و وجود هذه المؤسسة التعليمية لم يتطلب إمكانيات مادية كبيرة فكانت في المناطق الصحراوية مجرد خيمة متواضعة مصنوعة من الوبر ينقلها البدو الرحل أينما ارتحلوا، أما في القرى والمدن فكانت متعددة الأشكال فنجدها أحيانا متصلة بالمسجد وأحيانا أخرى منتشرة داخل الأحياء[1]. و لم يكن أثاثها فاخرا وإنما كان بسيطا جدا عبارة عن حصيرة مصنوعة من الحلفاء أو الدوم وألواح خشبية وجرار للماء وبعض الأواني البسيطة بالإضافة إلى مجموعة من المصاحف وكتب النحو والصرف والسير[2]. و كانت الكُتاب في الغالب غرفة واحدة مفروشة بحصير يجلس عليها الصبيان في شكل حلقة حول معلمهم[3].

ولكن هذه المؤسسة عرفت تطورا في هندستها وتجهيزها خلال القرن 8 هـ / 14م، إذ أصبحت عبارة عن قاعة واسعة مزودة بمدرجات أو مصطبات تستعمل كمقاعد للأطفال لكن هذا لا ينفي بقاء الوسائل التعليمية للكتاب بسيطة ومتوارثة إلى اليوم[4]. ولكن رغم بساطة هذه الكتاتيب من

---

[1] - مصطفى زايد، **من المؤسسات التربوية بالجلفة**، مجلة الثقافة العدد 93، الجزائر 1986، ص118.

[2] - محمد النسيب، **زوايا العلم والقرآن**، دار الفكر الجزائر ص 19.

[3] - يحيى بن خلدون، **بغية الرواد، في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج 1، تحقيق وتقديم عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1980م، ص 114.

[4] - يبدو لي أن رغم التطور الكبير الذي عرفته الكتاب خلال القرن 7 و8 هـ/ 13 و14 م، إلا أنها ما زلت إلى يومنا هذا محافظة على بعض ملامح ولمسات الكتاتيب، التي كانت فيما مضى سواء من ناحية الهندسة أو التجهيزات أو طريقة التدريس، عبد العزيز الفيلالي، **تلمسان في العهد الزياني** ج 2، المؤسسة الوطنية لفنون المطبعية، الجزائر 2002 م، ص 345.

حيث البناء والتجهيزات إلا أنها أدت دورا كبيرا في التعليم بالمغرب الأوسط وعرفت مستوى رفيع من التنظيم وحظيت بالاعتناء والاهتمام[1].

طريقة التدريس بالكتاب :

تميزت طريقة التعليم بالكتاب في المغرب الأوسط خلال هذه الفترة بالإلقاء والحفظ وقد انتقد عبد الرحمن بن خلدون هذه الطريقة لأنها تقوم على الحفظ دون الفهم حيث يقول« و يا غفلة أهل بلادنا في أن يأخذ الصبي بكتاب الله في أول عمره يقرأ مالا يفهم وينصب في أمر غيره أهم عليه منه»[2].فمعلم الكُتاب كان يجلس ويسند ظهره إلى الجدار، حاملا بيده عصا طويلة تصل إلى أبعد تلميذ تسمى الفلقة، أما التلاميذ فيلتفون حول معلمهم وبأيديهم أقلام من قصب ويسجلون على ألواحهم الخشبية ما يمليه عليهم من آيات القرآن إذ يخصص الوجه الأول من اللوحة لدرس الأمس، والوجه الثاني لدرس اليوم، بعد حفظ درس الأمس واستظهاره على المعلم يسمح للصبي بمحوه بالطريقة السالفة وكتابة الدرس الجديد[3]. تم يبدأ الأطفال يوم الدراسة بحفظ القرآن من الصباح إلى الضحى ثم يتعلمون الكتابة من الضحى إلى الظهر ويخصص المساء لبقية المواد كالنحو والحساب والعربية والشعر و التاريخ [4]. وكما خصصوا أيام معينة كيوم الأربعاء مساءا والخميس لتفقد حفضهم هذا إضافة إلى تعليمهم أمور العبادة مثل كيفية الوضوء والصلاة

[1] - عزوزي، المرجع السابق، ص 241.

[2] - عبد الرحمن بن خلدون، **المقدمة** , التحقيق والتعليق محمد صديق المنشاوي، ج 6، القاهرة 2005 م' ص 742.

[3] - لخضر عبدلي ، **مملكة تلمسان في عهد بني زيان**، أطروحة شهادة التعمق في البحث، كلية العلوم الاجتماعية والانسانية، تونس 1986 م، ص 194.

[4] - نفسه، ص 199.

والتشديد عليهم من أجل استيعابها ، وقد استحسن عبد الرحمن بن خلدون هذه الطريقة في التعليم بحيث كانت الكتاتيب من أشهر أنواع التعليم الابتدائي. ويبدو أنها قريبة من عمل المسيد[1]. بالإضافة إلى الشريعة[2]. التي حلت محل الكُتاب الشبيه بالتعليم الابتدائي كما أثنى ابن خلدون هذه الطريقة في التعليم حيث رأى أن تعلم القرآن وحفظه هو أصل التعليم وهو أول ما يجب تعلمه للصبيان لأن به يبنى ما يحصل بعد ذلك من الملكات حسب تعبيره[3].

وتنتهي هذه المرحلة بالختمة وتعني إتمام التلميذ حفظ القرآن الكريم كاملا وعندها يخير بين مواصلة طلب العلم في المساجد أو المدارس أو التوجه إلى الحياة العملية، فكانت تستند مهمة التدريس بها لقراء كبار مقابل أجرة معينة[4]

فكان يشترط في المعلم عدة شروط حتى يكون أهلا لمهنة التعليم في الكتاب كمعرفة الإظهار[5]، والإدغام[1]، وأحكام القرآن إلى جانب ذلك أجاز بعض الفقهاء معاقبة الصبي إذ

---

[1] - احمد بن يحيى الونشريسى , **المعيار المعرب عن فتاوى علماء افريقية و المغرب الاندلس** ، تحقيق محمد حجي، ج 8، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1981 م، ص 156،

5-لفظة المسيد مصطلح جامع لذلك المكان الذى يجمع مدرسة القران .و مسكن الطلاب .و دار الضيافة .و هذه المفردات الأربعة هي التي تكشف عن هذا المصطلح. جلال الدين السيوطي .**مجموعة رسائل السيوطي** .ج1 .شركة الشهاب للطبع .ص187

6-يبدو ان ما عرف في بلدان المغرب باسم "الشريعة "كان يقوم احيانا مقام الكُتاب(خيمة مدرسية عند البدو)الى جانب كونه مصلى تقام فيه الاعياد و ربما صلوات الجمع و من المحتمل ان "الشريعة "كانت محل تعليم البدو مقابل "المسيد" الذى كان محل تعليم الحضري. نفسه .ص 180

[4] - الونشريسي المصدر السابق، ص 158

[5] - الإظهار هو إخراج كل حرف من مخرجه، من غير غنة وحرفه ستة جمعها بعضها في أوائل نصف البيت التالي" أخي هاك علما حازه غير خاسر "' جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن المنظور ,**لسان العرب**, ج 4 ,طبعة بولاق ,المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الانشاء و النشر .ط 18 رجب 1300ه ص 99

قصر أو أساء الأدب ولكن بالتدريج حيث يبدأ بالإنذار والتوبيخ والعتاب، فالضرب الخفيف دون إلحاق الأذى بالأجساد ولا تزيد العقوبة عن عشرة أسواط مهما كانت الأسباب[2]. في هذا يقول **صلى الله علسه وسلم «لا يضرب أحدكم أكثر من عشرة أسواط إلا في حد »**[3]. وفي المقابل نجد أن عبد الرحمن بن خلدون قد حذر من المبالغة في العقاب تفاديا لانعكاساته السلبية على تحصيل الصبيان اذ قد يؤدي إلى تنفيرهم من الكتاب فيضيعون بذلك فرصة حفظ القرآن في هذه الفترة التي يكونون فيها أكثر تقبلا لاستقبال المعارف وترسيخها في أذهانهم[4].

وكثيرا من الفقهاء الذين انتقدوا المعلمين الذين يضربون الصبيان إلى حدود وصفهم بسوء الخلق وفساد القلب، أما المغراوي فلا يعارض عقوبة الضرب إذا كانت في مصلحة الصبي

حيث يقول:" لا تندمن على الصبيان إذا ضربوا فالضرب يبرأ ويبقي العلم"[5].

---

[1] - ذهب علماء اللغة العربية القدامى إلى أن معنى الإدغام هو اتقاء حرفين لفضهما واحد الأول منهما ساكن والثاني متحرك، وأنه لا حركة تفصل بينهما فيصيران بتداخلهما كحرف واحد ترفع الساكن عنه رفعة واحدة.

[2] - بشير رمصان البلنسي، **الاتجاهات الفكرية في بلاد المغرب الإسلامي خلا ل القرن 4 ه** ، دار المدار الإسلامي. ط 1، بيروت، 2003، ص 377.

[3] - عبد الله محمد بن مغيرة بن بردية البخاري الجفى، **صحيح البخاري**، ج 2. ط جديدة بيروت دار الكتاب العلمية ص 655.

[4] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 604، 605.

[5] - أحمد بن محمد المغراوي **جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض المعلمين وأداب الصبيان**، تحقيق أحمد جلول بدوي، الشركة الوطنية للنشر، د ت . الجزائر، ص 42.

ولم يقتصر العقاب على الصبي بل تعداه إلى المعلم إن هو قصر في واجباته فهو مسؤول عن النتائج النهائية للصبيان فإن ثبت فشله يؤنبه الإمام وقد يحرمه من أجرته، بل تصل العقوبة في بعض الأحيان إلى طرده نهائيا من التعليم إذا كان لا يصلح له[1].

لم تختلف الكتاتيب في المغرب الأوسط كما كانت عليه مثيلتها في ربوع البلاد الاسلامية الأخرى لأنها أنشأت في مختلف المناطق المفتوحة لأداء وظيفة واحدة تمثلت في التربية والتعليم، ولعل الاختلاف الوحيد كان الاقتصار على تعليم القرآن الكريم فقط بالمغرب الأوسط مثل استحداث مواد أخرى جاء بها مشايخ الأندلس والمشرق خلال القرن 8هـ/ 14 م، ضلت الكتاتيب تؤدي وضيفتها التعليمية إلى جانب مؤسسات أخرى كالمساجد والزوايا التي ظهرت بالمنطقة في القرن 6هـ/ 12م. وكانت هذه المؤسسة التعليمية الابتدائية منطلقا لكثير من طلبة العلم بالمغرب الأوسط. الذين صار لهم شأن عظيم فيما بعد أمثال: ابني الإمام الشريف التلمساني[2].

والآبلي[3] وغيرهم كثير.

---

[1] - المغراوي ، المصدر السابق ص 50.

[2] - الشريف التلمساني (ت 771هـ/ 1370 م) ولد ونشأ بتلمسان وأخذ العلم من علمائها تولى المجلس العلمي بفاس أيام أبو عنان المريني، ثم تولى التدريس بالمدرسة اليعقوبية أيام السلطان أبي حمو موسى الثاني حتى وفاته، ا بن خلدون. المصدر السابق، ص 120.

[3] - عالم منطقي ورياضي عاش في القرن 8 هـ / 14 م. هو أبو عبد الله محمد إبراهيم ولد بتلمسان 981 هـ / 1280 م وأصل أسرته من أبلة (الأندلس)، وقد تتلمذ عليه ابن خلدون ، وترجم له في تاريخه المشهور، أبي مريم المديوني، **البستان** . تحقيق بن ابى شنب .ط1 الجزائر. 1326ه 1908 .ص 220

تعريف المسجد:

1- لغة:

عرفت كلمة المسجد نطقا متعدد حسب تعدد الأقاليم وتبعا للهجات القبلية المتوارثة، فنطقت كلمة (المسجد) كما نطقت (مسيداً) بكسر السين وفتح الميم[1]. ولكن تحديد المفهوم اللغوي للكلمة من فعل (سجد) أي خضع وانحنى إلى الأرض وسَجد يسجُد سجودا أي وضع جبهته على الأرض[2].

أما ابن منظور: يقول بأن فعل سجد بمعنى خضع ومنه سجود الصلاة ولا خضوع أعظم منه لذلك جاءت كلمة السجدة بكسر السين وسورة السجدة بفتح السين والمكان الذي تؤدى فيه السجدة يطلق عليه كلمة مسجد.

ومنه الآية الكريمة: « يتفيؤوا ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون»*[3].

---

[1] - محمد بن عبد الله الزركشي، **إعلام الساجد بأحكام المساجد**، تحقيق الشيخ أبو الوفا مصطفى المراعي، القاهرة، 1385 هـ، ص 27.

[2] - محي الدين مرتضي الزبيدي، **تاج العروس**، تحقيق علي يسرى، دار الفكر بيروت، 1994 م ، ص 30.

* سورة **النحل** الآية 48.

[1]_ ابن المنظور ,المصدر السابق . ص187_189

المسجد اصطلاحا:

أما من حيث الاصطلاح فإن المكان الذي تؤدي فيه الصلاة فهو مسجدا ويذكر طه الولي بأن كلمة مسجد استعملها العرب في الجاهلية و في الإسلام[1]

أما من حيث المفهوم الشرعي للمصطلح، فهو كل موضع من الأرض طبقا للحديث النبوي الشريف « إن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا »[2]

وإذا كان المسجد تقام فيه الصلوات الخمس فقط فإن الجامع بالإضافة إلى الصلوات الخمس تقام فيه أيضا صلاة الجمعة والأعياد والتي لا يجوز أدائها إلا في المساجد الجامعة التي تجمع كل المصلين ولذلك أطلق عليها كلمة (المسجد الجامع)[3].

نشأة المساجد في العالم الإسلامي:

تمتاز عمارة المساجد في العالم الإسلامي بأصالة لا نضير لها لأن المسجد فكرة وروح فالفكرة هي التي وضعها الرسول عندما بنى مسجده الأول وهو مسجد قباء، وأما الروح فهي

[1] - طه الوالي، **المساجد في الإسلام**، د ت، د ط، ص 136.

* سورة **الجن**، الآية 18

[2] - الزركشي، المصدر السابق، ص 27، 28.

[3] - طه الوالي، المرجع السابق، ص 391.

روح الإسلام، فالرسول أنشأ مسجده في المدينة بوحى من الإسلام وحده دون النظر إلى عمارة كنيسة أو بيعة لذلك جاء مسجده في منتهى البساطة يستجيب لكل متطلبات الجماعة الإسلامية وهذه هي الأصالة بذاتها[1].

ومع استقرار الدولة الأموية وعاصمتها دمشق، صاحب قيام الدولة أنذك حركة معمارية نشيطة تذكر منها الجامع الأموي بدمشق والمسجد الأقصى، ومع قيام الدولة العباسية ببغداد انتشرت ظاهرة بناء المساجد[2]، أما في بلاد المغرب فنجد أقدم مسجد جامع أقيم هو جامع القيروان بتونس والذي أعطى كل مؤثراته المعمارية والفنية إلى مساجد المغرب والأندلس والتي نستطيع أن نلحمها في كل من المسجد الجامع بقلعة بني حماد بالجزائر ومساجد الفترات اللاحقة كمسجد الموحدين على سبيل المثال[3].

أهمية المسجد كمؤسسة تعليمية:

لقد ذكرت كلمة مسجد في القرآن الكريم عدة مرات منها « سبحان الذي أسري بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير»[4]،و زاد مضمون الآية في أهمية المسجد « وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا»[5]،

---

[1] - أحمد فكري، **المسجد الجامع بالقيروان**، مطبعة المعارف، ومكتبتها بمصر، القاهرة 1936، ص 50.

[2] - أنظر Belhadj(m).gezayir Markazī kubbeli camber, thèse de magister Istanbul 1991 P 12

[3] - فكري المرجع السابق.ص66

[4] - سورة **الإسراء** الآية الأولى

[5] - سورة **الجن**، الآية 18.

فالمسجد من معالم التراث فهو نتاج عملية تاريخية عميقة تضافرت في إنجازها جملة من العلاقات والشروط عبر مراحل معينة الأمر الذي يجعلها مرجعا حيا للواقع والتاريخ يستوجب المرور عبر الأجيال وإيصاله بأمان[1].

تاريخ التعليم في العالم الإسلامي خلال العصر الوسيط، ارتبط ارتباطا وثيقا بالمسجد[2]. قبل تأسيس المدرسة حيث قامت فيه حلقات الدرس منذ أن أنشأ لأول مرة واستمرت لقرون وفي شتى أنحاء العالم الإسلامي دون توقف[3]. والسبب الذي جعل المسجد يلعب هذا الدور التربوي هو أن الدراسات الأولى كانت تهتم بتعليم وتوضيح تعاليم الإسلام وكذا اتخاذه مكانا لدراسة وحفظ القرآن والفقه والاشتغال بالأدب[4]. إلى جانب ذلك فقد عرف في المغرب

(المسيد) وهو ملحق كان يفرد للناحية التعليمية بالمسجد وقد تطور هذا المسجد في القرن 5هـ فاستقل بنفسه عن المسجد وصار ذلك عالما بذاته من حيث البناء والمقصد.

وهذا التطور لم يمنع المسجد من أن يبقى محل تعليم، وإنما أصبح بمثابة الجامعة أو المعهد ففيه تلقى الدروس وتعقد حلقات البحث وتنظم المناظرات العلمية وكما يجتمع فيه أصحاب المصالح العامة والخاصة[5] ويذكر ابن خلدون أنه تقرأ فيه البلاغات الرسمية للدولة وتعقد فيه عقود

---

[1] - فويال سعاد، **المساجد الأثرية لمدينة الجزائر**، دار المعرفة للنشر، د ت , د ط . ص 50.

[2] - أحمد شلبي **تاريخ التربية الإسلامية**، مكتبة النهضة المصرية، دار الاتحاد العربي للطباعة مصر، ط 5، 1976، ص 102

[3] - ابن خلدون المصدر السابق، ص 200.

[4] - محمد منير موسى، **التربية الإسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية**، نشر عالم الكتاب، القاهرة، د ت .د ط, ص

[5] - موسى . المرجع السابق. ص 200

الزواج، التجارة.[1]. بالإضافة إلى الشعائر الدينية التي كان المسجد يصطلح بها فقد اعتبر أيضا بمثابة الوعاء الجامع اللعب كافة الأدوار فالمسجد تجمع الزكاة وتؤدى الصلوات، وبه يمسك ويفطر الصائم وبه تقدم جميع النصائح والإرشادات لمفهوم الحج وأركانه وفضائله، وأضيفت أدوار اجتماعية أخرى بوصفه بيت الله وملجأ المسلمين جميعا، فكان الزاهد أو المسافر أو طالب العلم إذا وصل إلى بلده اتجه إلى جامعها حيث يجد الأمن والهدوء والراحة والمأوى وبصفه أخرى كان المسجد هو مقر المجلس الشورى ومقر الحكم[2].

تتجلى لنا القلعة في الدور الأول من أدوار الدولة، بجاية في الدور الثاني والأخير من أدوارها، تتجلى لنا كل من هاتين العاصمتين معقل العلوم ومصدر النهضة بإشعاعاتها المتنوعة، وقد اعتمدت هذه النهضة بالدرجة الأولى على الناحية التعليمية فعندما اختط حماد القلعة واستكثر فيها من المساجد والفنادق، فقد حظى المسجد بدور كبير جدا وترسيخ العقيدة الإسلامية، إضافة إلى دورها التعليمي حيث لم يكن مجرد أماكن للعبادة بل كانت عبارة عن مؤسسات تعليمية تدرس بها أصناف العلوم خاصة الدينية[3]

- يبدو لي أن المسجد عرف تطورا عبر مراحل مختلفة منذ تأسيسه، فهو بمثابة مكان للعبادة والتعليم في أولى مراحل تأسيسه ومع مرور الزمن أصبح بمثابة الجامعة والمعهد الذي تلقن فيه الدروس والمناورات وإلى ما غير ذلك من الشؤون الهامة.

[1] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 621.

[2] - فويال، المرجع السابق، ص 8.

[3] - عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج 1، ديوان المطبوعات الجامعية، دار الثقافة الجزائرية بيروت، 1982، ص 59.

وعلينا أن نذكر أنه يستحيل رسم صورة كاملة عن مظاهر الحياة الفكرية والثقافية في القلعة وذلك لانعدام مصادر متخصصة في هذا المجال وإن وجدت وإنما هي مصادر التي ذكر فيها تراجم بعض الأعلام القلعيين وأعلام آخرين وإشارة إلى بعض المؤسسات التعليمية في كتب الموسوعات واستطعنا أن نبنى من خلالها صورة عن الحياة الثقافية والعلمية[1] ومن هذه المؤسسات المساجد وعلى رأسها نجد الجامع الأعظم الذي كان يؤدي دورا تعليميا في مختلف العلوم لاسيما علم القراءات[2].

لقد اشتهرت بالمغرب الأوسط على أيام الحماديين عدة مساجد أدت دورا كبيرا في نشاط الحياة الثقافية والعلمية وأبرزها:

المسجد الجامع بقصبة بجاية (المسجد الأعظم)

المسجد الجامع يقع داخل قصبة بجاية فهو يعتبر جهازا معماريا يعتبر من شعار التوحيد الذي طالما نادى به الموحدون . هناك غموض تاريخي يحوم حوله ولكن استنادا إلى قول الغبريني يفترض أن المسجد الجامع بالقصبة هو ذلك المسجد الأعظم الذي ذكر في مورد زحف الموارقة على مدينة بجاية هذا إذا افترضنا أن القصبة شيدت في القرن 6 هـ/ 12 م، بما فيها المسجد الجامع ليتحول فيما بعد إلى المسجد الأعظم في عهد الحفصيين افتراضيا[3] وهناك نص

[1] - أبي القاسم الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج 4، مؤسسة الرسالة بيروت، المكتبة العتية، تونس 1985، ص 82.

[2] - أبو يحيى الزجال، **أمثال العوام الأندلس**، تحقيق بنشريفة فاس، 1975، د ط . ص 94.

[3] - الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المئة السابعة ببجاية**، تحقيق عادل نويهض، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1979.ص 106

لابن خلدون أثناء وصوله إلى بجاية سنة 766هـ تلبية لاستدعائه من أميرها الحفصي أبو عبد محمد إذ يقول: « قدمني للخطابة بجامع القصبة وأنا مع ذلك عاكف بعد انصرافي من تدبير الملك، غدوت إلى تدريس العلم أثناء النهار بجامع القصبة، لا أنفك عن ذلك...»[1]. ولقد ذكر الغبريني مصطلح كلمة القصبة في عدة مرات في مؤلفه حيث كان يتردد على الخطبة بجامع القصبة المحروسة[2] لعل أغلب الكتب التاريخية التي تحدثت عن المنطقة تجمع بأن القصبة كان بها مسجدا جامعا وذكر في مختلف الكتب وعلى مر العصور الإسلامية ولكنه عرف بعض التعديلات والزيادات في العصور الاسلامية الأخرى التي مرت بها بجاية، ففيه دَرَسَ ودُرسَ[3].

أما من الناحية المعمارية فإن المسجد من الخارج يتكون من أربع وجهات تتألف الواجهة الجنوبية الشرقية من مدخل معقود ، أما الواجهة الجنوبية الغربية فتبدأ على شكل أربع وحدات مدببة الشكل. يبلغ طوله 220 ذراعا وعرضه 250 ذراعا له وجهة مزينة بـ 17 عقدا وباب كبير على يمينه ويساره من الرخام وقبة عظيمة وكانت أرض المسجد مفرشة بالرخام وجدرانه مغطاة بالزليج وعليها كتابات قرآنية[4]. إن أهم الملاحظات حول هذا المعلم الأثري أن عرضه أكبر من عمقه ويشبه في شكله المساجد التي شيدت في المشرق كالمسجد الأموي في دمشق الذي أسسه الوليد بن عبد الملك سنة 86هـ/ 705 م و جامع الأزهر 361هـ و كما نلاحظ على

[1] - ابن خلدون، **كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر** ,المطبعة المصرية بولاق .1284ه ج 6, ص 164

[2] - الغبريني، المصدر السابق، ص 140.

[3] -نفسه ، ص 145، 146.

[4] - عبد الرحمن الجيلالي، **زحف علي بن غانية المورقى على بجاية 580هـ/ 1184** م، مجلة الأصالة، العدد 19، 1974، ص 34.

المسجد الكثير من التأثيرات الفنية القادمة من القيروان وكذا التأثيرات الحمادية القادمة من القلعة، لأن الكثير من مظاهر الفن والعمارة في العهد الحمادي نلمحها في بجاية عاصمة الحماديين الثانية وهذا ما يفسر استمرار الفن الحمادي في بجاية[1].

جامع ملالة:

ملالة[2]. احدى القرى التابعة لإقليم ولاية بجاية، ويقع على بعد حوالى اربع اميال جنوب مقر الولاية، وتعتبر هذه القرية منعرجا حسما في قيام الدولة الموحدية ، حيث التقى المهدي بن تومرت بعبد المؤمن بن علي[3]. بإحدى مساجدها.

وكان قبل ذلك قد حل المهدي بن تومرت ببجاية ونزل في مسجد الريحانة[4]. ثم بدأ دعوته هناك، علما أن بجاية كانت أنذك مدينة كبيرة ومركزا حضاريا متألقا فاقت القيروان وتونس لاسيما في عهد بني حماد، ونظرا لتشدده طلب منه حاكم بجاية أنذك مغادرة المدينة فكان له ذلك . ثم استقر بقرية ملالة ثم أقام هناك مسجدا أصبح الطلبة يتوافدون عليه من كل جهة[5] . وكان مكانه المفضل للجلوس في رحبة قريبة من المسجد، تحت شجرة يتأمل ويفكر بالقرب منها بئر يعرف باسم بئر" الخروبة "وهي بمثابة أو مزار لتبريك من قبل أهل القرية وسكان القرى

---

[1]- عبد الرحمن الجيلالي، المرجع السابق، ص 40.

[2] - أنظر ملحق .رقم .1

[3] - ينتمي عبد المؤمن بن علي إلى قبيلة كوميه التي تسكن جهة تلمسان، ولقد تعلم القرآن بقريته ثم انتقل إلى تلمسان ليدرس على أيدي كبار الفقهاء، كان غزير العلم وفصيح اللسان ثم عين من طرف محمد بن تومرت على حكم الدولة الموحدية، ابن القطان، **نظم الجمان**، تحقيق محمود علي مكي، المطبعة المهدية، تيطوان، د ت , د ط ص 259.

[4] - الريحانة من المساجد المتبقية من آثار الحماديين، بمدينة، بجاية .

[5]- أبو بكر الصنهاجي المعروف بالبيدق، **كتاب أخبار مهدي بن تومرت**، تحقيق ليفي بروفنسال، باريس 1928، ص 52

والمسجد الذي أقامه كان يعرف عند عامة الناس باسم جامع سيدي يحي، هدم المسجد القديم وأنشأ مكانه مسجدا جامعا جديدا يشغل تقريبا نفس الأبعاد التي كان يشغلها الجامع الأصلي والجامع الحديث يسمى بجامع تومرت[1] وهذا في الستينات من القرن الماضي[2].

تعريف الزاوية:

أ/ لغة:

الزاوية لغة مشتقة من فعل (زوى) الشيء يزويه أي جمعه وقبضه وفي الحديث النبوي الشريف " زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها"

والزاوية في البيت ركنة، وجمعها زوايا، وتزوي، وانزوى أي صار فيها[3].

ب/ اصطلاحا:

تعني كلمة زاوية ذلك البناء الصغير الذي يشبه المسجد من حيث وجود محراب وتؤدي فيها الصلاة أحيانا، فهي مؤسسة ذات طابع ديني و ثقافي و اجتماعي[4]. تقام فيها العبادات و الدروس وإطعام عابري السبيل وعبر عنها ابن مرزوق الخطيب بقوله « الظاهر أن الزوايا عندنا في

[1] - انظر ملحق رقم 02

[2] - الغبريني، المصدر السابق، ص 135.

[3]- مختار الرازي .**الصحاح**، ط (1)، دار الفكر، بيروت لبنان، 2001، ص 124.

[4] - منى سي فوضيل، **الزوايا بين الماضي والحاضر رسالة ماجستير**، قسم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2004/ 2005 .ص 128

المغرب هي المواضع المعدة لإرفاق الواردين وإطعام المحتاجين من القاصدين» فهي بالتالي تختلف عن الرباط الذي كان يتخذ للمرابطة والجهاد[1].

نشأة الزوايا و انتشارها:

ارتبطت الزاوية بوظيفة التدريس ولذلك هناك تداخل واضح من حيث الوظيفة بين المسجد والزاوية، ولكن مع تطور الحياة الإسلامية في شتى الميادين، بدأت تظهر بنايات جديدة لكل دورها الخاص في الحياة الاجتماعية والإسلامية كالكتاتيب، دور القرآن ثم الزوايا والمعاهد الإسلامية وصولا إلى طهور المدرسة[2].يذهب الكثير من الباحثين والمؤرخين إلى أن الزاوية كانت في الأصل رباط تحول مع مرور الزمن لزاوية وكما يذكر المؤرخون أن بعض الخلفاء المسلمون الأوائل قد بنوا للمتصوفة بيوتا ملاصقة للمساجد خصصت للذكر والعبادة وأطلق على تلك البيوت اسم " الخنقاء" والتي تعرف عندنا في المغرب " الزاوية" وقد كثر اقبال الناس على تلك البيوت وعرفت بمرور الزمن أي ابتداء من القرن الرابع هجري تحولا وتطورا كبيرا فانفصلت عن المساجد وأصبحت قائمة بذاتها[3]. فلم تعد مهمتها تقتصر على العبادة والجهاد كما كانت فيما مضى، بل أصبحت مؤسسة تعليمية تستقبل الطلاب وتقوم بتحفيض القرآن الكريم

[1] - مختار الطاهر الفيلالي، **نشأة المرابطين والطرق الصوفية وأثرهما في الجزائر على العهد العثماني**، دار الفن للنشر. د ت. د ط . ص27 28

[2] - عبد العزيز لعرج، **المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، دراسة أثرية ومعمارية وفنية ،** دكتوراه دولة في الآثار الاسلامية جامعة الجزائر، 1999.ص 356 ,357

[3] - لعرج، المرجع السابق، ص 300.

وتدريس العلوم الدينية كالفقه والتفسير والحديث والتوحيد وكذا العلوم اللغوية كالنحو والصرف والبلاغة كما تقدم للطلبة الطعام وتوفير الإقامة مجانا وكم كانت مقصد العلماء للتدريس بها وتأليف الكتب[1].

كما ورد لفظ الزاوية في ترجمة للعلامة أبو الفضل قاسم محمد القرطبي المتوفي سنة 661هـ مما يؤكد وجودها في ذلك التاريخ في بجاية[2]. فالزوايا عادة ما ترتبط باسم مؤسسها فعندما تتعدى سمعتهم المكان الذي يتواجدون فيه يقصدهم الناس من كل مكان، ويقيمون حولهم حتى يكبر المكان ويصبح عامرا، وبعد وفاتهم يقوم أبنائهم والمعجبون ببناء ضريح تعلوه قبة يصبح مع مرور الزمن مزارا يحظى بتقدير القوم لهم ودلك عرفانا لما قدموه في حياتهم[3]. كانت الزوايا في بداية الأمر تنتشر بصورة محدودة في المدن ثم ما لبث وإن انتشرت بصورة واسعة في الأرياف والبوادي حتى أصبحت ميزة للحياة الصحراوية و الجبلية[4].

المدارس

تعد المدارس من المنشآت الثقافية والتعليمية المستحدثة في العالم الإسلامي، والتي يعود السبب الرئيسي في ظهورها إلى كثرة العلوم المتداولة في المسجد وتشعب مهامه من اجتماعية

[1] - أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ،الشركة الوطنية للنشر و التوزيع , الجزائر .1981,ج1 . ص 84

[2] الغبريني، المصدر السابق، ص 50.

[3] - نفسه. ص 79.

[4] - المهدي البو عبدلي، **الرباط والفداء في وهران والقبائل الكبرى**، مجلة الأصالة العدد 13، مطبعة البعث قسنطينة، 1973، ص 21- 23.

وسياسية فتم إنشائها لتقوم بالمهام التعليمية [1]. فقد عرف هذا النوع من المرافق التعليمية لأول مرة في مدينة نيسابور[2]،وذلك بتشييد المدرسة البيهيقية[3]، في أوائل القرن 5 هـ/ 11 م.

أما في بلاد المغرب فقد أسست أول مدرسة في مدينة سبتة[4]. 635ه/ 1237 م[5]. وفي تونس أسس السلطان أبو زكريا الحفصي المدرسة الشماعية والتي تسمى أم المدارس فيما بين 633 هـ 647هـ /– 1249 م[6]. وانتشرت حركة بناء المدارس بالمغربين الأدنى والأقصى، أما المغرب الأوسط، فقد تأخر ظهور المدرسة إلى غاية مطلع القرن الهجري الرابع عشر ميلادي[7].وفي هذا الصدد يذكر ابن أبي زرع على أن المدارس بدأت بالظهور في بلاد المغرب أثناء العهد الموحدي بالضبط في فترة حكم الخليفة أبوا يعقوب يوسف المنصور 580- 595هـ/ 1184- 1199 م حيث يذكر عنه « وحصن البلاد وضبط الثغور وبنى المساجد والمدارس ببلاد

---

[1] - أحمد بن خلكان، **وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان**، المطبعة اليمنية، مصر 1310 هـ، ص 112.

[2] - نيسابور أشهر مدن، إقليم خرسان، كانت ذات عمارة كثيرة وفضائل جمة ، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، **أثار البلاد وأخبار العباد**، ص 473.

[3] - نسبة إلى الشيخ الإمام ابن بكر أحمد البيهقي أحمد أقطاب الحديث والفقه والأصول في زمانه بيهق بلدة في خرسان، نفسه، ص 339.

[4] - سبتة: مدينة على البحر الرومي أو بحر الزقاق الداخل من البحر المحيط، وكانت مدينة كبيرة يجاز منها الأندلس، أبو عبيد الله البكري، **المغرب في ذكر بلاد إفريقية المغرب مقتطف من المسالك والممالك**، تر و تح بالفرنسية، البارون د يسلان، مكتبة أمريكا، والشرق باريس، 1965، ص 84.

[5] - الفيلالي، المرجع السابق، 100، 101.

[6] - محمد بن أبي القاسم الرعيني_ابن أبي دينار، **المؤسس في أخبار إفريقية وتونس**، ط 3، تح محمد شنان، المكتبة العتيقة تونس . د ت ، ص 424.

[7] - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 429.

المغرب وإفريقيا والأندلس»[1]. وغير أن هناك تضارب في الآراء حول ظهور المدارس في بلاد المغرب فهناك من يرجعها إلى العهد الحفصي وآخرون يرون أن تاريخها يرجع إلى عهد المرابطين ولكن أغلب المؤرخين يرجعون ظهورها إلى العهد الموحدي[2] ومهما تضاربت الآراء حول ظهورها فالأستاذ عبد العزيز لعرج[3] يرى بأنها وصلت إلى المغرب من المشرق الإسلامي بعد سقوط الدولة الموحدية وكذلك بتأثير من مصر نظرا لدورها الحضاري على منطقة المغرب وكذلك نظرا لطبيعة العلاقات الطيبة التي تربط البلاط الحفصي بالبلاط المملوكي في عهد أبي زكريا نفسه»[4].

ويعتبر ظهور المدرسة استجابة لتحديات مختلفة واجهت الأمة الإسلامية مما جعلها تأخذ طابعا معينا فجاءت المدرسة كنتيجة لتطور مر عبر مراحل معينة منها عملية التعليم التي كانت تمارس في المسجد ثم ظهرت مؤسسات تجمع بين المسجد والخان التي تستخدم للتدريس وإيواء الطلبة الأجانب وهذه الأخيرة هي المدرسة بصريح العبارة[5]. كان الهدف من وراء حركة بناء المدارس بالمغرب الأوسط هو تيسير التعليم والثقافة من جهة ومن جهة أخرى توجيه الرعية من أجل وحدة السياسة المذهبية التي كانوا يسرون عليها والمتمثلة لنصرة المذهب المالكي الذي

---

[1] - علي بن أبي زرع الفاسي . **الأندلس المطرب لروض القرطاس في أخبار المغرب و تاريخ مدينة فاس** ، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972، ص 154.

[2]- لعرج . المرجع السابق، ص 307.307.

[3] - أستاذ الآثار الإسلامية، بجامعة الجزائر.

[4]- نفسه، ص 310.

[5] - لعرج، المرجع السابق. ص 300.

*من الملاحظ أن المدرسة منذ ظهورها عرفت تطورات مختلفة وعبر مراحل متتالية، خاصة بما يتعلق بعملية التعليم.

كانت هذه إحدى الوسائل لتحقيق هذه الغاية، وسمحت هذه الأسباب ان تأسست عدة مدارس في المغرب الأوسط وحملت على عاتقها لواء نشر التعليم في أرجائه[1]

[1] - فويال سعاد، المرجع السابق، ص 20.
- كانت أغلب هذه المدارس مكونة من طابقين، سفلي وعلوي كان بهما غرف للطلبة وحجرات للتدريس، وتميزت بزخارفها الفنية ومرافقها المتعددة التي كانت مسخرة لخدمة المدرسين والوافدين من الطلبة، لعرج، المرجع السابق .ص 53.

تمهيد:

كان عصر الحماديين عصر انتشار وترقية في جميع مناحي الحياة فضربوا في العلم والأدب بسهم، فغصت عواصمهم بطلاب المعارف وناشريها، وكان العلماء يتناظرون في مجالس بني حماد ويؤلفون لهم الكتب، فقد ظهر بالدولة الحمادية العلماء والشعراء والكتاب والمؤرخون والأطباء والرياضيون وغيرهم، ظهورا لا عهد للحماديين من قبل، وكانت لعلوم الدين المنزلة الأولى ويليها علوم العربية، فالمصادر التاريخية سجلت تراجم لمجموعة من العلماء تبحروا في مختلف العلوم، فمنهم من ولد بالقلعة وتلقى علومه بها ومنهم من قصدها من أجل التحصيل العلمي وانتهى به المطاف إلى الاستقرار، ومنهم من نشأ فيها ودرس فيها ثم رحل إلى مناطق أخرى إما نشرا للعلم أو تلقي المزيد من العلم، أو هروبا من بطش الهلاليين .ولكي نتصور إجمالا مبلغ الحركة العلمية والعلماء بهذا العصر ارتأيت أن أعطي لمحة عن بعض العلماء الذين كان لهم دور في الازدهار الثقافي والحضاري الذي عرفته الدولة الحمادية سواء في القلعة أو مدينة بجاية.

أبرز علماء قلعة بني حماد:

محمد القلعي:

هو محمد بن الحسين بن على بن أبي القلعي، لغوي نحوي أديب شاعر بارع في التصريف، مشارك في الفقه والتاريخ كان قاضيا في قلعة بني حماد[1].نشأ محمد القلعي بمدينة الجزائر وأخذ من شيوخها ثم استوطن ببجاية أين كان مدرسا للغة والنحو والأدب ويقال عنه أنه كان شغوفا بالتعليل في النحو، وشعره متسم بطابع ديني ومسحة صوفية. توفي سنة 673هـ/ 1274 م في بجاية.

له مصنفات كثيرة مشهورة انتفع بها الناس منها

* قواعد المهذب

* إيضاح الغوامض في علم الفرائض: وهو مجلدات جمع فيه بين مذهب الشافعي وغيره

* احتراز المذهب

* لطائف الأنوار في فضل الصحابة الأبرار.

- كنز الحافظ في غرائب الألفاظ.

[1] - أبو العباس أحمد بن أحمد بن بابا التنبكتى ، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج** ، مصر 1351، ص 250.

* تهذيب الرياسة في ترتيب السياسة.

* أحكام القضاة [1].

أبوا علي حسن بن علي بن محمد المسيلي:

لقب بأبي حامد الصغير تشبيها له بأبي حامد الغزالي، عاش في صغره بالمسيلة والقلعة ثم رحل إلى بجاية أين درس بها وتعلم ثم تولى القضاء في بجاية[2].

كان أبو على حسن من أهل النسك والدين حيث كان يأتي إلى الجامع الأعظم في الثلث الأخير من الليل لتهجد، فقد شهد عزو يحيى ابن غانية المرابطين للمدينة وأرغم مع غيره على مبايعته حيث تكونت بينه وبين القاضي عبد الحق الأشبيلي والفقيه محمد بن عمر القرشي، صحبة متينة قد أبو علي للقاء باستمرار وذلك للحوار والمناقشة في المسائل الفكرية والأدبية

ومن أهم تآلفه:

- هو دراسة في القرآن الكريم.

- التذكير في علم أصول الدين

[1] - ابن مريم المديونى ,المصدر السابق ,ص 292

[2] - يحيى بوعزيز، **اعلام *الفكر* والثقافة في الجزائر المحروسة** .ج 1 .ط 1. 1995 ,ص33

- النبراس في الرد على منكري القياس[1].

كتاب التفكير فيما تشتمل عليه الصور والآيات من المبادئ والغايات هذا الكتاب بالذات اتبع فيه منهج أبو حامد الغزالي في كتابة الأحياء في طريق عرض القضايا وتحليلها، وقد قال فيه الغبريني "كلامه فيه أحسن من كلام أبي حامد وأسلم ودل كلامه فيه على احاطته بعلم المعقول والمنقول وعلم الطاهر والباطن[2].

ابن رشيق القيرواني:

هو الحسن بن رشيق أبو علي الشهير بالقيرواني، لقب بهذا الاسم لطول إقامته بمدينة القيروان ولد في مسيلة سنة (385هـ/ 995 م) أديب من كبار الأدباء، كاتب وناقد وشاعر وباحث ومؤرخ[3].

اهتم بالأدب والتاريخ فأخذها عن علماء بلده ثم رحل إلى القيروان سنة 406هـ، حيث لازم كبار علمائها وأخذ عنهم العلم مدح أميرها المعز فقربه إليه وجعله كاتبا فذاع صيته في القيروان وخارجها إلى أن غزا الهلاليون إفريقية حينها لجأ إلى صقلية وأقام بها إلى أن توفي سنة (463هـ/ 1071 م) وقد خلف مجموعة من الكتب ،أجمعها بعضهم إلى ثلاثين كتابا:

---

[1] -عيسى بن الذيب . **الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط** ، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954م، الجزائر، 2007، ص 90- 95.

[2] - الغبريني، المصدر السابق، ص 66.

[3] - رشيد بورديبة، **الجزائر في تاريخ العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 245- 247.

أهم مؤلفاته:

- العمدة في صناعة الشعر ونقده.

- النموذج الزمان في شعراء القيروان.

- قراضة الذهب في نقد أشعار العرب.

- ميزان العمل في تاريخ الدول.

- تاريخ القيروان.

كلها كتب جمع فيها بين التاريخ والأدب[1].

أبرز علماء بجاية

يذكر عبد الرحمان الجيلالي نقلا عن الشريف التلمساني كانت بجاية دائما بلد علم وعلماء عندما دخل المدينة، حيث ذكر بأنه وجد العلم ينبع من صدور رجالها كالماء ينبع من حيطانها.

وحسب رواية أبي حامد الصغير المسيلي، فإن بجاية وحدها كان بها تسعون مفتيا أواخر القرنين السادس الهجري، والثاني عشر الميلادي[1]. كما كان بها أطباء ورياضيون، وذكر ياقوت

[1] - الغبريني المصدر السابق، ص 70، 77.

الحموي بأنه حتى العوام والعمي في بجاية كانوا يحفظون عن ظهر قلب كتب البخاري، والمدونة، والموطأ والتلقين ويشرحونها للناس من ذاكرتهم[2]. وهي شهادة لها مغزاها ومدلولها حسبهم رغم الاضطرابات التي حلت ببجاية فإنها لم تجعل أهلها ينفرون عن العلوم والمعارف بل زادت تمسكهم بالعلم والعلماء وجعلتهم يلتفون حول الصلحاء والأولياء والعلماء وقد اهتم العلماء في ذلك العصر بمختلف العلوم منها النقلية والعقلية أصبحت بجاية من أهم الحواضر العلمية بالمغرب الإسلامي ويقصدها عدد كبير من العلماء والشعراء والأولياء، كل هذا ساهم في تنوع وبروز عدد كبير من العلماء الذين كان لهم دور كبير في تنشيط الحركة الفكرية والعلمية في مدينة بجاية[3].

فهذه المدينة أنجبت فطاحل العلماء كما قال عنها يحي بوعزيز والأدباء والشعراء والفقهاء والكتاب والمفكرين الفلاسفة والمؤرخين[4]. ومن أبرز الأعلام التي يمكن الإشارة إليها في هذا المقام:

---

[1] - عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ج 1، الطبعة 3، الجزائر 1982، ص 320، 321.

[2] - الحموي، المصدر السابق ,ص 113.

[3] - الجيلالي. المرجع سابق، ص 200- 203.

[4] - بوعزيز ، المرجع السابق , ص 11.

منصور الزواوي: (ت بعد 770هـ / 1369 م).

هو منصور بن علي بن عبد الله الملقب بأبي علي الزواوي، فقيه مالكي وأصولي وحافظ للحديث والنحو اللغة .

ولد في بجاية سنة (710 هـ / 1311 م) وبها نشأ وأخذ العلوم عن والده وعن شيوخ منهم منصور المشدالي[1]. وابن المسفر. ثم انتقل إلى تلمسان ودرس بها على يد عبد المهيمن الخضرمي وأبي إسحاق بن أبي يحيى الشريف السبتي وأبي العباس بن يربوع[2].

ثم رحل إلى الأندلس سنة 753 هـ، وذكر ابن الخطيب أنه استقبل استقبالا حسنا بها وفضل الاستقرار في غرناطة مدرسا في مدرستها، وقد ألقى بها دروسا في الفقه والتفسير وكما باشر بها الافتاء ولكنه لقي معارضة كادت تؤدي إلى هلاكه فاضطر إلى مغادرة الأندلس سنة 756 هـ / 1365 م، ونزل في تلمسان ودرس بها سنوات طويلة مختلف العلوم النقلية والعقلية[3]. وقال عنه يحي السراج نقلا عن البستان: كان شيخا فاضلا فقيها نظارا معدودا من أهل الشورى، له مشاركة في العلوم النقلية والعقلية وإطلاع وتقيد ونظر في الأصول والمنطق وعلم الكلام، مثابر على تعلم العلم وتعليمه[4].

---

[1] - منصور بن أحمد ابن عبد الحق أبو علي، ناصر المشدالي البجائي، ينسب إلى مشدالة فهو من أهل الشورى والفتيا بحاضرة بجاية، وله شرح على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، فهو من كبار علماء الفقه والأصول والتفسير . ابى العباس احمد القسنطيني، **كتاب الوفيات**، تحقيق عادل نويهض .منشورات الكتب التجاري للطباعة و النشر بيروت 1971. 84.

[2] - التنبكي، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباجة**، ج 2، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004، ص 257.

[3] - ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق عبد الله عنان ، ج 3، ط 1، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1947، ص 220.

[4] - البستان، المصدر السابق، ص 292.

ومن أبرز تلاميذه:

- محمد بن أبي قاسم بن محمد بن عبد الصمد المشدالي.

- يحي بن خلدون.

- لسان الدين الخطيب، المقري.

ولقد أثنى على معارفه العلم الجليل قاسم القسنطيني قائلا: « فقيه بجاية وخطيبها مفتيها، وصالحها ومحققها وكان صادقا محققا نظارا مقدما على أهل عصره في الفقه وغيره »[1].

عبد الرحمن الوغليسى:((ت 786هـ/ 1381م)

هو أبو زيد عبد الرحمن الو غليسي[2]، نسبة إلى بني وغليس التي تقع جنوب بجاية، وتبعد عن سيدي عيش ببعض كيلوا مترات وتشرق على واد الصومام المعروف[3]. المصادر لم تحدثنا عن تاريخ عبد الرحمن ولا عن نشأته الأولى، وإنما الذي تشير إليه أنه تلقى العلم بمدينة بجاية، أنه فقيه وعالم كان أصوليا ومفسرا أخذ تعليمه في بجاية على يد علماء أجلاء منهم: أحمد بن إدريس الجبائي، أحمد بن عيسى بن سلامة، أبن القاسم ابن محمد المشدالي[4]. ويصف الشيخ محمد

[1] - مختار حساني، **موسوعة التاريخ ثقافة المدن الجزائرية**، ج 4، دار الحكمة، الجزائر، 2007.ص 219.

[2]- انظر ملحق رقم 03

[3] - الحفناوي، ا لمصدر السابق ص 277.

[4] - التنبكتي، المصدر السابق، ص 189.

السعيدين زكريا الزواوي، ابا زيد عبد الرحمن الوغليسي بأنه: " الفقيه الأصولي، المحدث المفسر عمدة أهل زمانة، وشيخ الجماعة في بجاية "[1]

وما ذكره الشيخ عبد الرحمن الثعالبي في (الجوهر الحسان) عند قوله تعالى في آخر سورة الشورى

" ألا إلى الله تصير الأمور". يقول رحلت في طلب العلم أواخر القرن الثامن ودخلت بجاية أوائل القرن التاسع فلقيت بها الأئمة المقتدى بهم في العلم أصحاب سيدي عبد الرحمن الو غليسي متوافرين، فحضرت مجالسهم مما يدل على مكانة هذا الرجل، وكما اشتغل عبد الرحمن خطيبا في الجامع الكبير في بجاية وكان يلتف حوله الطلبة والعلماء من كل حدب وصوب وكما ألف هذا الأخير العديد من الكتب أشهرها:

- الفتاوي والجامع في الأحكام الفقهية على المذهب المالكي وتعرف« بالمقدمة الوغليسة».و كما تعد هذه المقدمة بمثابة وثيقة هامة لمعرفة أوضاع العصر [2].

أبو العباس أحمد الغبريني: (ت بعد 704ه/ 1304 م).

صاحب عنوان الدراية و هو أحمد بن أحمد بن عبد الله بن علي أبو عباس الملقب بالغبريني نسبة إلى بني غبرين من أمازيغ وادي سينا، ولد سنة 644 هـ/ 1246 م[1].

[1] - الطاهر بوناني، **أبو زيد عبد الرحمن الوغليسي.** جويلية المؤرخ، العدد5 الجزائر 2005، ص 101.

[2] - عبد الرحمن الثعالبي، **الجواهر الحساب في تفسير القرآن**، تحقيق عمار الطالبي، ج 4، المؤسسة والوطنية للكتاب، الجزائر 1985 م، ص 159.

الفقيه المحدث الجليل الشهير الفاضل قاضي الجماعة ببجاية حيث نشأ وتعلم بها هو قاضي ومؤرخ، تنقل بين بلدان المغرب والأندلس وخاصة بين بجاية وتونس، وأخذ كما قال علوم الدراية والرواية عن شيوخها الذين بلغ عددهم نحو السبعين[2]. تعلم الفقه على أصول المذهب المالكي وعلى يد أبي محمد عبد العزيز القيسي وعبد الله بن عبادة وأخذ المنطق وعلم الكلام عن أبي العباس بن خالد وكما تلقى علوم اللغة عن أبي عبد الله التميمي وكذلك الحديث والتفسير عن شيوخ كانوا عمدة النقل والرواية. تولى الغبريني أثناء تنقلاته في عدة أماكن وآخرها كان ببجاية حيث كان عارفا بأصول أحكام وفروع الفقه وبالنوازل وتحقيق المسائل. توفي عام 704هـ.

من مؤلفاته:

* المورد الآصفي.

* الفصول الجامعة.

* عنوان الدراية فيمن عرف من علماء المئة السابعة في بجاية[3].

عمران المشدالي: (745هـ / 1345م)

[1] - الحفناوي، المصدر السابق ، ص 21.

[2] - نفسه ، ص 23.

[3] - القسنطيني .المصدر السابق، ص 215.

عمران بن موسى المشدالي البجائي الأصل ولد سنة 670هـ / 1272 م نشأ في بجاية ودرس على يد ناصر الدين المشدالي وكما صاهره في ابنته أخذ عن غيرة من علماء بجاية، حيث نبع في الحديث والفقه، والنحو الجدل و الفرائض، وقال فيه المقري « رأيته إذا دخل المسجد بعد الغروب قبل الإقامة يثبت قائما إلى أن تقام الصلاة..»[1]. انتقل إلى تلمسان إذا استقبله أبو تشفين الزياني أحسن استقبال وأسند إليه التدريس في مدرسته التاشفينية حيث درس بها مختلف العلوم وأخذ عنه الكثير من العلماء أبرزهم أبو عبد الله السلاوي، أبو عبد الله الشريف، المقري عمران لم يكن معتنيا بالتأليف، إنما كان متفرغا للتدريس والفتوى[2]. ويرجع الفضل إليه في إدخال مختصر ابن الحاجب في الأصول والفروع إلى تلمسان، كان عمران من حفظة القرآن الكريم تفقه على يد علي عثمان المنقلاتي ثم رحل إلى تونس أين درس على يد الآبلي والقلشاني، ولغرباني.

أهم مصنفات المشدالي:

* كتاب في تفسير القرآن الكريم.

* له شرح على مختصر خليل في 8 مجلدات سماها تسهيل السبيل لمقتطف أزهار روض الخليل

* شرح آخر في مجلدين سماه" فيض النيل"

[1] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 46.

[2] - التيبكتي، المصدر السابق، ص 277.

توفي رحمه الله في تلمسان سنة (745هـ / 1345 م)[1].

عبد الرحمن الثعالبي:

الشيخ عبد الرحمن الثعالبي من أشهر علماء الجزائر، عاش في نهاية القرن 9 هـ – 15 م، أسس زاوية في مدينة الجزائر اعتنى بالتدريس والتأليف في التفسير والحديث والفقه والتصوف والأدعية ولد سنة 786 هـ – 1384م بوادي يسر شرق مدينة الجزائر وتنتهي أسرته إلى الثعالبة الذي يعود نسبهم إلى الإمام على. وروى العلامة الحجوي[2].نسب الشيخ عبد الرحمن الثعالبي إلى الثعالبة بوطن الجزائر وهي قبيلة شهيرة من عرب معقل والجعفري إلى جعفر بن أبى طالب وكان الثعالبة أمراء على مدينة الجزائر و المتيجة إلى أن حاربتهم دولة بني زيان في نهاية القرن 8 هـ- 14 م. تعلم الثعالبي في قريته ثم تنقل إلى بجاية سنة 802 هـ – 1400 م وأخذ فيها عن الشيخ بن زيد الوغليسي الشيخ بن عثمان الميكلاني، والمشدالي[3]. وبعد ان انتقل إلى تونس بين 809هـ وأخذ فيها من الإمام البرزلي وارتحل إلى القاهرة و زار معظم أقطار المشرق ثم عاد إلى مدينة الجزائر واستقر بها بعدها أسس زاوية اشتغل بالتدريس والتأليف إلى أن توفي في سنة 875 هـ – 1470 م.

من أهم مؤلفاته:

- الجوهر الحسان في تفسير القرآن.

---

[1] -نفسه، ص 73.

[2] - الخفناوى .المصدر السابق. ص 122

[3] - الغبرينى .المصدر السابقزص33

- العلوم الفاخرة في أحوال الآخرة[1].

- المختار من الجوامع في القراءات .

-شرح مختصر ابن الحاجب في الفقه

- أثر الثعالبة في التفسير والفقه والتصوف و اخذ عنه علماء كثيرون[2].

.العلوم النقلية:

عرّف ابن خلدون في المقدمة العلوم النقلية « هي العلوم الوضعية المسندة كلها إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولامجال فيه للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول... »

وأصل هذه العلوم النقلية كلها هي الشرع من الكتاب والسنة وهي ممثلة في الفقه وأصوله وعلم القراءات والحديث وعلوم عقلية[3].ولقيت علوم القرآن والسنة من تفسير وقراءات وحديث وفقه وتصوف واهتمام الدولة الرعية وحفلت بها المجامع والمعاهد الدينية وقد أسس الحماديون المساجد والمعاهد الدينية والزوايا فكانت المجال الخصب لازدهار هذه العلوم كلها[4].

1- الفقه و أصوله:

[1] - نفسه. ص.48
[2] - ابن الابار .المصدر السابق .ص457
[3] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 779، 780.
[4] - عويس، المرجع السابق، ص 257.

كان مبدأ الدراسات الفقهية السنية في مدينة القلعة عقب الانقلاب الفقهي الذي حدث بعد نبذ حماد الدعوة للعبيدين وإعلانه الدعوة للخلافة العباسية السنية في بغداد عام 405هـ/ 1014 م[1].ومن هذا التاريخ بدأت الدراسات الفقهية تزدهر وتنتعش وكان الغالب الفقه على المذهب الملكي الذي كان أكثر انتشارا في بلاد المغرب الإسلامي وشهد نهضة فكرية كبيرة في العلوم الدينية خاصة الفقه، حيث تعددت تأليف هذا النوع من العلماء وكثرت تعليقاتهم المؤلفات السابقة كموطأ الإمام مالك، المدونة، التلقين لعبد الوهاب البغدادي الواضحة لابن حبيب والعتبة للعتيبي[2].

لقد وجد في المدن الحماية الكبرى كبجاية والقلعة والجزائر وتاهرت وبونة علماء أجلاء يقصدهم طالبو العلم من الأندلس ومن البلاد المغربية الأخرى وكانت لبعضهم شهرة على امتداد العالم الاسلامي كما أن بعضا من هؤلاء قد رحلوا إلى بلدان أخرى في العالم الإسلامي وكانت لهم شهرة بها ومن أبرز هؤلاء العلماء المشهورين:[3].

أسد بن الفرات صاحب الاسدية، سحنون بن سعيد صاحب المدونة، مروان بن على الأسدي المعروف بالبوني نسبة إلى مدينة بونة (عنابة) (ت بعد 439ه/ 1047م) و كان فقيها محدثا و له كتاب كبير شرح فيه الموطأ2 وجاء في الديباج المذهب لابن فرحون أن مروان البوني كان

[1] - ابن خلدون، ,المصدر السابق ، ص 202.

[2] ابو الفصل عياض موسى بن عياض. **ترتيب المدارك** و **تقريب المسالك لمعرفة اعلام مذهب ملك** . تحقيق احمد بكير محمود .منشورات مكتبة الحياة بيروت .1927 ص 102

[3] - محمد بن فرحون، اليسرى المدني المالكي، **الديباج المذهب فى معرفة أعيان العلماء المذهب**، ط 1، سنة 1329ه ص 122

من الفقهاء المتفننين وكان رجلا حافظا فذا في الفقه والحديث[1] وعبد الله بن يحيى العبيدي من أهل القلعة وكان محدثا وفقيها بجامع القلعة إلى أن توفي سنة 519هـ.

وعبد الحق البجائي (514- 582 هـ/ 1120- 1186 م). عبد الحق بن الرحمن الأزدي الأشبيلي البجائى فقيه محدث مشهور حافظ زاهد فاضل اديب و شاعر و يقول ابن الزبير في صلة الصلة كان رحمه الله من أهل العلم والعمل وكان شاعرا مطبوعا يزاحم فحول الشعراء وغيرهم كثير[(2)].

ومن أشهر فقهاء الحماديين وأبرزهم على الإطلاق والذي تنوه لهم المصادر التاريخية نذكر:

* مؤسس القلعة **حماد بن بلكين** توفي (419هـ- 1028 م)، الذي تعلم في القيروان وأخذ الفقه عن شيوخها ونظرا في كتب الجدل[3]

* ولقد كان السبق في تطور الفقه المالكي لابن الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي (513هـ/ 1119 م). الذي تتلمذ على يد أبو عبد الله محمد ابن أبي الفرج المازوي المعروف

[1] - الغبرينى المصدر السابق، ص 335.
- الموطأ أعظم مؤلفات الإمام مالك إلى اليوم، هذا الكتاب الجليل الذي، يقول عنه الشيخ أبو زهرة يعد الموطأ أول مؤلف ثابت النسبة من غير شك، ويعد الأول في التأليف والفقه والحديث معا.
- أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن عمر، بن الحارث المشهور ينتهي نسبه إلى يعرب بن يشجب بن قحطان الأصبحي. ولد عام 93 هـ في مدينة النبي صلى الله عليه وسلم. وقد عرف بالعلم منذ نعومة أضافره، فهو أعمل العقلاء وأعقل الفضلاء في زمانه، طارق السويدان، **الدروس والعبر من السيرة الكاملة لحياة الإمام ومسيرته العلمية**، ط 1، شركة الإبداع الفكري للنشر، الكويت، 2009م. ص 157.
[2] - الحفناوى ، المصدر السابق، 428.
[3] - أحمد بن محمد المقري التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، مج 5، ص 428.

بالذكي فهو من أهم رواد أصول الفقه في القلعة إذ كان متفوقا ومتميزا في الفقه المالكي عارفا بأصول الدين ميل إلى النظر والاجتهاد[1].

ومن العلماء الذين كان لهم أيضا اسهامات فقهية في قلعة عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن أبي بكر الصنهاجي (ت 628 640هـ / 1230- 1242 م) قرأ ببلدة القلعة يعد من كبار الأئمة[2].

الفقيه عبد الله بن الحجاج المعروف بابن السكات (562- 614هـ) فقد اشتهر هذا الأخير بنبوغه في القفه المالكي والدليل على ذلك أنه ولي قضاء مدينة مالقه بالأندلس عرفانا له بمستواه العلمي[(3)].

محمد بن علي بن جعفر المعروف بابن الرمامة (478، 567 هـ/ 1085، 1171م).

ألف كتاب تسهيل المطلب في تحصيل المذهب وكتاب التبين في شرح التلقين، واختصر كتاب الأحياء الأبي حامد الغزالي وكان من الفقهاء البارعين[4].

[1] - المقري. المصدر السابق ، ص 430.
4_ابن الخطيب، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تحقيق محمد عبد الله عنان، ط 1، المكتبة الخانجي، القاهرة 1974، ص166

[3] - المقري، المصدر السابق، ص 431.
[4] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 782.

علم الحديث:

علم الحديث أحد العلوم التي تفردت بها الأمة الإسلامية، وهو منهج لتحديد صحة الأحاديث الأقوال المروية عن النبي صلى الله عليه وسلم. والتي نقلها الصحابة والتابعين من بعد والأفعال والتقريرات والصفات وروايتها وضبطها وتحرير ألفاظها وهو إسناد السنة إلى صاحبها والكلام في الرواة الناقلين لها ومعرفة أحوالهم وعدالتهم وكذا لينفع الوثوق بأخبارهم ويعمل ما يجب العمل بمقتضاها[1].ومن أعلام هذا العلم أبو عبد الله محمد بن صمعان القلعي كان مجيدا في علم الحديث قال عنه الغبريني " كان له علم بالحديث للفقه والوثيقة "[2] وأبو عبد الله محمد بن أحمد القلعي.

فنلاحظ نقص الاهتمام بالدراسات الفقهية والأصولية والفرعية ولكن رغم ذلك فهو العلم الذي تفجرت منه بحار العلوم الفقهية والأحكام الشرعية وتزينت بجواهره التفاسير القرآنية والشواهد النحوية[(3)].

علم التفسير:

التفسير اصطلاحا:

[1] - الغبرينى ، المصدر السابق، ص 189.
[2] -نفسه.، ص 192، 193.
[3] - ابن الآبار عبد الله محمد عبد الله البلنسي، **التكملة لكتاب الصلة**، تعليق ألفريد بال، مطبعة الشرقية للأخوين فونطا، الجزائر، 1919، ص 59.

هو كشف معاني القرآن وبيان المراد منه وهو أعم من أن يكون بحسب اللفظ المشكل وغيره وبحسب المعنى الظاهر وغيره والمقصود منه[1].

عرف علماء اللغة التفسير كمصطلح بأنه الكشف والإظهار والبيان بحيث يصبح الكلام لا يعتريه الغموض والضبابية، أما مبحث هذا العلم فهو تفهم بمعاني القرآن الكريم وتفسير آياته تفسيرا صحيحا لاستنباط أحكام شرعية صحيحة[2].

التصوف:

كلمة التصوف ورد ذكرها كثيرا في أدب الجاهلية ويرجع معناها إلى مقصد الابتعاد عن زحف

الدنيا ومن ذلك كان التصوف عنوان للزهد والقناعة فالتصوف عبارة عن طريقة انتقالية لإصلاح القلوب وتزكية النفوس[(3)].

قال أبو العباس أحمد البرنسي (200 هـ/ 815 م) " إن الأصل في التصوف هو مقام الإحسان الذي فسره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تعبد الله كأنك تراه وإن لم تكن تراه فهو يراك ".

[1] - ابن خلدون ، المصدر السابق، ص 118، 119.
[2] - الهاشمي التيجاني، **مذهب النسخ في تفسير وأبعاده اجتماعية**، ج 3، مؤسسة دحلب للنشر، الجزائر، 1996، ص 606، 608.
[3] - إبراهيم بسوني، **نشأة التصوف الإسلامي**، دار المعارف، مصر 1996، ص 09.

" فالتصوف هو أحد أجزاء الدين الذي علمه جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوارثه الصحابة من بعده"[1]وبهذا يأخذ مصطلح التصوف معنى العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها والزهد في ملذات الحياة وشهواتها[2].

كما أن حركة التصوف التي ظهرت في المشرق الإسلامي كان لها صدى قويا تجاوب معها المغرب الإسلامي مع مطلع القرن السادس الهجري حيث وجدت بها ظروف ملائمة ومكانة سامية بين علوم التدريس الدينية وازدهرت أكثر في الرباطات والمساجد والزوايا على يد شيوخ اجلاء مارسوا التصوف بصدق التوجه وتحلو برداءة الزهد والتقشف فأصبحوا أقطاب بارزين وزعماء مشهورين لطرق صوفية عديدة(3).وقد ولج هذا العلم إلى المغرب الأوسط وحواضره على رأسها القلعة في النصف الأول من القرن السادس الهجري ذلك بدخوله جملة من المصنفات الصوفية في المغرب الأوسط على شاكلة كتاب رعاية المحاسبي أواخر القرن الخامس هجري والحادي عشر ميلادي، وكتاب إحياء علوم الدين (4).وفي القرن السادس هجري والثاني عشر ميلادي والرسالة القشيرية في النصف الثاني منه(5).

[1] - يوسف بن يحيى بن عيسى، **التشوف إلى رجال التصوف**، مخطوط بالخزانة البكرية، زاوية سيدي أحمد ديدى، تمنطيط، ص 12.
[2] - نفسه، ص 02.
[3] - محمد الهامل المسعودي، **الطريقة وآثارها على العلاقات الأساسية (التيجانية والقادرية)**، مذكرة ليسانس، قسم علم النفس وعلم التربية، كلية العلوم الاجتماعية جامعة السانية، وهران، الجزائر، 1999/ 2000 م، ص 39.
[4] - الطاهر بونابي، **التصوف في الجزائر خلال القرنين 6ه، 7 ه/ 12- 13 م**، دار المهدي للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2007، ص 237
[5] - نفسه، ص 35.

وعرفت القلعة بنوع من التصوف يعرف بالتصوف السني ومن متصوفو القلعة أبو القاسم الذي قال عنه القاضي عياض« صاحب فيه ورع وزهد ومروءة وخير»[1] حتى أنه لما بعث في سفارة إلى القيروان 438 هـ/1046 م لم ينفق طوال إقامته في القيروان إلا من ماله الخاص وهذا دليل على زهد وشبع نفسه»[2]. الشيخ أبو عبد الله بن محمد بن أبي الفرج المازوري المعروف بالذكي وأشهر الزهاد والمتصوفين القلعيين ابن النحوي الذي حاول التمكين لهذا العلم من خلال نشره نظرية الغزالي في التصوف بالقلعة[3].

العلوم العقلية:

عرفها ابن خلدون " بأنه العلوم الحكمية الفلسفية وهي التي يمكن أن يقف عليها الإسلام بطبيعة فكره ويهتدى بمداركة البشرية إلى موضوعاتها ومسائلها "[4]. كان لهذه العلوم دورها وأهميتها في العصر الحمادي باعتبارها من الضروريات لتحقيق التقدم الذي كان جل اهتمام الحمادين ، ومن الملاحظة أن أصحاب هذه العلوم لم يكونوا منفصلين عن باقي العلوم الدينية الفقه والحديث. مع أن العصر الحمادي هو عصر التخصص لهذا نجد كثير من أقطاب هذه العلوم يشتهرون إلى جانب شهرتهم في هذه العلوم بالبروز في نواحي أخرى كالشعر، الفقه، النحو..[5].

---

[1] - بونابى ، المرجع السابق ص 82. 83.

[2] - عياض، المصدر السابق، ص 176.

[3] - الغبريني، المصدر السابق، ص 124.

[4] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 779.

[5] - محمد شريف سيدي موسى، **الحياة الفكرية في بجاية**، د ط، د ت، ص 212.

فقد شهد العصر الحمادي نهضة علمية راقية في مختلف العلوم العقلية خاصة الطب: فقد ذكر الغبريني أن الأبحاث في علم الطب كانت تتم وفق القوانين النظرية الاستدلالات الجليلة مما جعلها مقصد طلبة العلوم الطب والأطباء من مختلف الأمصار خاصة الأندلسيين حيث مارس هؤلاء التطبيق في بجاية وروجوا لمؤلفاتهم الطبية ومن أشهر هؤلاء[1]

- الطبيب أبا القاسم محمد بن أندراس المرسى، ومن بين الذين اهتموا بهذه الدراسات نجد الطيب ابن المليح الذي كان طبيبا ماهرا مشهورا[2].

وابن النباش البجائي المتوفي في أواخر القرن 5 هـ الذي كان طبيبا مواظبا على علاج المرضى ملما بالعلوم الطبيعية ومشاركا في مسائل العلوم الفلسفية[3]. وعمر بن البيدوخ أبو جعفر القلعي الذي كان خبيرا في الأدوية المركبة والمفردة وعارفا بالأمراض وعلاجها فقد ترك كثيرا من الكتب مثل حواش على كتاب القانون لابن سينا، وشرح الفضول لأبو قراط في أرجوزة، وكان من مواليد القلعة[4].

ومن هؤلاء كذلك محمد بن أبي بكر المنصور القلعي الذي نبغ في الطب والرياضيات والحساب وعلم الفرائض، ولبجاية ومعبر صقلية دور هام في إمداد أروبا بتجارب مهمة في

---

[1]- رشيد مصطفاوي، **بجاية في عهد الحماديين**، مجلة الأصالة، مطبعة البعث وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، قسنطينة الجزائر، العدد، 1، 1971، ص 89.

[2] - مصطفاوى ، المرجع السابق .ص 100.

[3] - الغبريني، المصدر السابق، ص 200.

[4] - عويس ، المرجع السابق ص 136

ميدان الطب والعلاج والجراحة والصيدلة فقد قام المسلمون بترجمة تراث اليونان وطوروه حتى أصبح علما مقننا بقواعد وأصول ووسائل وتصدي جيل من العلماء المسلمين لذلك. وفي هذا يذكر يحي بوعزيز نقلا عن أبي أصبيعة أنه خصص لهم مجلدا خاصا من كتاب " عيون الأنباء" في طبقات الأطباء للتعريف بهم وبمجهوداتهم العلمية لأنهم قاموا بتعديل الكثير من الحقائق الطبية الخاصة وتصحيحها وأضافوا أبوابا جديدة في الطب والصيدلة لم يسبقهم إليها أحد[1].

أما فيما يخص علم الفلك فقد اشتهر علي بن أبي الوجال التاهرتي والذي عرف بأثاره العلمية الكثيرة خاصة كتاب" البارع في أحكام النجوم وكذلك كتاب الأرجوزة في الأحكام الفلكية[2]. أما فيما يخص علم الرياضيات وهو العلم الذي بين حقيقة دور الحماديين الثقافي والحضاري حيث حظى المسلمون في المغرب الإسلامي بصفة عامة و الحمادين بصفة خاصة خطوات كبيرة من أجل تطوير علم الحساب والهندسة بصفة خاصة خطوات كبيرة من أجل تطوير علم الحساب والهندسة والجبر والميكانيك..[3].

فعلماء الحماديين استفادوا من علوم الأولين ونقلوا أصول هذه العلوم كالحساب من الإغريق والهنود ثم قاموا بعد ذلك بدراستها والاستفادة منها، فأصلحوا ما بها من أخطاء وأكملوا ما فيها من نقص خاصة علم الحساب ونتيجة لهذا التطور الحضاري والعلمي الذي اتسم به الحماديين فقد

---

[1] - يحي بوعزيز، **جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية.** الأصالة، عدد 19، الجزائر مارس، أبريل، ص 287، 289.

[2] - محمد حاج صادق، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي**، ديوان المطبوعات الجامعية، د ت. د ط .ص 158.

[3] - بوعزيز، **مركز بجاية الحضاري ودوره في اثراء الخضارة العربية الاسلامية في نهضة أروبا جنوب غرب أروبا**، ص 10

غدت كل من القلعة وبجاية حاضرة من الحواضر الإسلامية وأصبح يفد إليها الطلبة من كل قطر، وحتى من الأقطار الأوروبية أمثال: ليوناردو ديفنشي الإيطالي 1180 م الذي أخذ العلوم المختلفة الخاصة، خاصة علم الحساب على يد معلم عربي هو سيدي البجائي [1].

ومن أعلام المسلمين في الرياضيات بالمغرب الإسلامي المجريطي ت 1007 م وتلاميذه ابن السمح، ابن الصفار الكرماني، وأمية بن الصلت[2]. وكما برز في قلعة عدة علماء والرياضيات بالمغرب خاصة في علم الحساب الذي يدرس في مساجدها ومعاهدها من أعلام الحساب:

على بن معصوم بن أبي ذر القلعي ولد (489هـ/ 994 م) نشا وتعلم بقلعة بني حماد ثم رحل إلى المشرق حيث استوطن العراق وأخذ من فقهائها ثم انتقل إلى خرسان، كان بحرا في الحساب

توفي في مدينة قرين وهي مشهورة بكثرة العلماء المنسوبين إليها عام (551 هـ/ 1056 م)[3]. **اللغة العربية وآدابها:**

إن اهتمام المسلمين بالعلوم الدينية جعلهم يهتمون بالعربية وآدابها من نحو، وشعر، ونثر ذلك لكونها لصيقة بالقرآن الكريم، فالعربية هي لغة القرآن ولغة السنة وفي هذا قال ابن خلدون "

[1] - مصطفاوي، المرجع السابق، ص 90.

[2] - حاج صادق ، المرجع السابق ، ص 130.

[3] - محمد قويسم، **علماء الرياضيات في مدينة قلعة بني حماد**، الملتقى الدولي حول مدينة قلعة بني حماد ،1000 من التأسيس، قسم التاريخ بجامعة محمد بوضياف، المسيلة، الجزائر، أبريل، 2007، ص 1، 2.

علوم اللسان العربي أربعة أركان وهي اللغة والنحو والبيان والأدب ومعرفتها ضرورية على أهل الشريعة"[1].

وكان لهذا الاهتمام ظهور علوم خاصة بالعربية مختصرة وثلاثة أركان أساسية: أولهما علم النحو الذي يعد قوانين اللغة العربية.

وثانيها: النثر وثالثهما النظم أو الشعر ويسميان معا الأدب وفيه قال ابن خلدون أيضا " هو الإجازة في فني المنظوم والمنثور على أساليب العرب ومناحيهم يجمعون من كلام العرب ما هو جيد من شعر وسجع مع ذكر بعض من أيام العرب والأنساب الشهيرة والأخبار العامة"[2]. تصدر علوم اللغة والأدب مجالات النشاط العقلي في دولة الحماديين وكان الأدب نثرا وشعرا مناط بعناية واحترام كل الطبقات وقد اشتغلوا جميعا به: الأمراء والوزراء ورجال الدولة والعلماء[3]. وكانت العربية الفصحى لغة ثقافة وفكر وبهذه العربية الفصحى قدمت المغرب الأوسط الحماديين مجموعة كثيرة من الكتاب والشعراء واللعوبين فمن أدباءها:

* أبو عبد الله الكاتب محمد الكاتب المعروف بابن دفرير أحد كتاب الدولة الحمادية على عهد يحيى. ومنهم أيضا أبو القاسم عبد الرحمن الكاتب المعروف بابن القالمي ويرجع الأستاذ بونار أن ابن القالمي كان حيا في النصف الأول من القرن السادس الهجري أي على عهد العزيز يحي

[1] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 105.

[2] - نفسه، ص 115

[3] - الجيلالي، المرجع السابق، ص 100.

و نوافقه على ترجيحه لأن ابن القالمي خدم الموحدين وكان من أبرز كتاب عبد المؤمن بن علي[1].

ومن شعراء العصر الحمادين المبرزين:

* أبو حفص بن فلفول كان كاتب العزيز وابنه يحي بن العزيز الحمادي وله اليد الطولي في الإنشاء الدال على إبداعه وقد أورد له العماد الأصفهاني شعرا رواه له عبد الله بن العزيز الحمادي الذي لجأ إلى صقلية[2].

ومن أشهر من قدمتهم الدولة على ابن الزيتوني الذي يعد شاعر المغرب الأوسط وأديبه وألمعيه وأريبه وصاحب توشيح وتوشيع وتقصيد وتقطيع وقد صار شعره غناء ومن شعره قوله: في ذم المركاز:

لا أكل المركاز دهري فلو تقطفه كفى بروض الجنان .

لأنه أشبه فيما يرى أصابع المصلوب بعد الثمان[3].

[1] - عبد الواحد المراكشي، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب، والأندلس**، ج 1 تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، الإمارات العربية المتحدة، للنشر، ص 226، 229.

[2] - المراكشي ،المصدر السابق ص 230.

[3] - رشيد بورويبة وآخرون، **الجزائر في عهد الحمادي من الفتح إلى بداية العهد العثماني**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 249.

أبو محمد عبد الجبار بن حمديس الأزدي والملقب بابن حمديس الصقلي الذي ولد في سرقوسة بجزيرة صقلية سنة 447 هـ/ 1005 م. ثم سافر إلى الأندلس سنة 471 هـ/ 1088 م، ليستقر بعد ذلك في بجاية وأصبح شاعر المنصورين الناصر وله ديوان شعر يشتمل على عدة قصائد في مختلف المواضيع والأغراض الشعرية سواء في المدح أو الرثاء[1].

من خلال ما سبق يتضح لنا أن الدولة الحمادية كانت بها طائفة من الأدباء والشعراء مثل الشاعر القسنطيني الكبير حبيب الفكون وعز الدولة بن صمادح الذي كان من أمراء الأندلس وملوك الطوائف بها ولما خلعه يوسف بن تاشفين تحت إمارته التحق ببجاية حيث كان أديبا وشاعرا[2].

ولكن الأدب في الدولة الحمادية لاسيما في فترة ازدهارها لم يكن مقتصرا على الرجال فحسب بل شمل حتى النساء أيضا فبرز بعضهن في ميدان الأدب مثل الأديبة عائشة بنت عمارة المشهورة بالناسخة ومن هنا يمكن القول أن الحياة الأدبية في أيام الحمادين كانت مزدهرة تعج بالأدباء والشعراء المنافسين لأهل المشرق[3].

[1] - رشيد بورويبة، **الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها**، ديوان المطبوعات الجامعية، د ت . د ط . ص 176، 184.
[2] - الغبريني، المصدر السابق، ص 38.
[3] - عويس، المرجع السابق، ص 269.

التاريخ و الجغرافيا:

عرف ابن خلدون " هو ما يوقعنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم والأنبياء في سيرهم والملوك في دولهم وسياساتهم" التاريخ والجغرافيا من العلوم الأولى التي اهتم بها المسلمون رفقة العلوم الدينية الأخرى ولكنها لم تحط بعناية الحماديين كالعناية التي أولوها للعلوم الأخرى لأن الاهتمام كان منصبا على علوم الدين واللغة العربية باعتبارهما الأساس الذي تقوم عليه عملية تعريب بلاد المغرب " .

وعلى الرغم من ذلك نجد من الحماديين من اهتم بعلم التاريخ أمثال:

أبي محمد القلعي الذي كانت له حلقة علمية بالمسجد الجامع ببجاية، ومحمد بن ميمون حفيد ميمون قاضي القلعة[1]. ويروى أن حماد بن إبراهيم بن أبي يوسف المخزومي قد ألف كتابا في التاريخ للأمير العزيز بالله بن منصور بن ناصر بن علناس بن حماد الصنهاجي الأمير الحماد الخامس[2].

ويوسف الو رجلاني المولود سنة 300 هـ/ت 471هـ/ 1078 م، من أشهر المؤرخين في عهد حماد أبو زكريا يحيى بن أبي بكر الو رجلاني صاحب كتاب فتوح المغرب[3].

[1] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 12.

[2] - عويس، المرجع السابق، 268.

[3] - بورويبة، المرجع السابق، ص 250.

ومن المؤرخين المنسوبين للدولة: أبو عبد الله محمد بن علي الصنهاجي مؤلف أكبر كتاب في التاريخ الصنهاجي " النبذ المحتاجة" في أخبار صنهاجة، وكتاب أخبار ملوك بني عبيد، كتاب الإعلام بفوائد الأحكام[1].

وعلى الرغم من أننا لانعرف الكثير من مدى اهتمام الحماديين بعلم الجغرافيا إلا أن هناك أكثر من قرينة تؤكد ضرورة الاهتمام الحماديين بهذا العلم وخاصة وأن العديد من المغاربة كانوا يرتحلون مشرقا ومغربا فضلا عن رحلة الحج المألوفة وكذلك صلاتهم التجارية بالأندلس والمشرق هذا ما يوجب ضرورة الاهتمام بالجغرافيا، لعل في شهرة ابن حوقل والبكري و الإدريسي وغيرهم من جغرافي ورحالة هذا العصر ما يؤكد هذا[(2)].

الفن المعماري:

اعتنى الحماديون بالفن المعماري وأبو إلا أن يكون لهم من المباني ما كان لبني عمهم بإفريقيا وللفاطميين بمصر، والمباني تدل على ما وصلت إليه الدولة من عزة وسلطان فأحضروا المهندسين من إفريقية وحتى من المغرب لتشييد المشاريع العمومية و القصور لهم و لازالت آثار المسجد الجامع ماثلة أمام أعيننا بالقلعة[(3)]. ولقد كان الفن المعماري أو الهندسة المعمارية أشهر ما عرف من نواحي التقدم الحمادي فعير كثيرا من القصور والمساجد التي أبدعت الحضارة الحمادية في تشييدها أثبتت الحفريات التي قام بها الجزائريين مدى تقدم الذي أحرزه الحماديون

[1] - عيسى بن الديب , المرجع السابق . ص 135.

[2] -عثمان الكعاك. **موجز التاريخ العام للجزائر**. نشر مكتبة العرب بتونس 1925. د ط ، ص 111.

[3] - أبو مروان بن حيان القرطبي، **المقتبس من أخبار الأندلس**، تحقيق عبد الرحمن الحجي، دار الثقافة بيروت، د ت .د ط . ص 220

في هذا الفن[1]. وأبرز هذه الحفريات التي جرت في قلب العاصمة الحمادية القديمة (القلعة) بحيث لم يراه ذكر أقل من ثلاثة قصور وجامع ولازالت الحفريات فيها بعيدة عن الانتهاء فمساحة هذه القصور تدعو للإعجاب فهي لا تقل عن 280 مترا وطول 160 مترا عرضا، أما الجامع فهو مكون من مئذنة واقفة شامخة وبناء كبير مستطيل حوالي 66 م في 54 م ومحاط بأسوار خارجية لم يبقى منها إلا الأساس[2]. وكان قصر البحر[3]. الذي تعاون الناصر والمنصور في إنشائه أبرز القصور الحمادية في القلعة وكان يمتاز بتخطيطه الذي أصبح فيها بعد مثالا يحتذيه المعماريون في صقيلية وغرناطة وغيرهما وكانت القاعات ورواقات معمدة في القصر تشتمل على بدائع الزخرفة الفنية كالرخام المنقوش في الجبس المزين بأشكال هندسية. فالقصر مليء بالرخام والسواري التي يعجز عنها الوصف وبيوت عديدة مزينة منقوشة جميلة مزخرفة بالفسيفساء كما كان بمثابة مدينة سكينة أرستقراطية يقيم بها الجهاز الحاكم[4]. أما برج المنار[5] الذي نرجع أن الناصر بدأ في إنشائه ثم أكمله المنصور فهو يسمى قصر المنار كان هذا البرج واحدا من ابرز معالم الأبداع الهندسي الحمادي في القلعة و هو أشهر ما بقى من أثارهم في

---

[1] - محمد الطمار .**المغرب الاوسط في طل صنهاجة** , ديوان المطبوعات الجامعية رقم05، 2010، ص 221 ، 225.

[2] - ابن ابى زرع، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس**، مراجعة عبد الوهاب المنصور، ط 2، المطبعة الملكية الرباط، 1999.ص303

- يبدو لي أن الابداع الفني، نتيجة من نتائج ازدهار المجتمع، ورخائه وخلوه من مشاكل الخارجية والداخلية المنددة لحياتهم.

[3] -أ نطر ملحق رقم 04

- ابن أبي زرع، المصدر السابق، 170

[5] - انظر ملحق رقم 05

عاصمتهم الأولى حيطان هذا البرج مصنوعة من الداخل من صخور كثيفة أما من الخارج فحجارة منحوتة على غرار قصور بلاد ما بين النهرين[1].

إلى جانب قصر البحر والمنار وجدت في القلعة قصور أخرى كبيرة أقيمت منذ استقر حماد بالقلعة ومن بينها القصر المنسوب إلى حماد نفسه " قصر حماد" والقصران المنسوبان إلى المنصور " قصر السلام" " وقصر الكوكب"[2].وفي بجاية على نحو أقوى وأعمق ازدهرت حركة التقدم العمراني وقد كان لناصر والمنصور الأثر الكبير في تحقيق هذا الازدهار، ويعتبر قصر اللؤلؤة الذي أنشأه الناصر من أعجب قصور الدنيا[3]. وصفه صاحب الاستبصار فقال" وفي بجاية موضع يسمى اللؤلؤة وأنف جبل داخل في البحر متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الزائرون أحسن منها بناء ولا أنزهه موضعا، فيها طاقات مشرقة على البحر عليها شبابيك الحديد ومجالسها مبنية حيطانها بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها وقد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب وصورت فيها الصور الحسنة فجاءت من أحسن القصور" [4].

وقال ابن خلدون " وبني قصر اللؤلؤة وكان من أعجب قصور الدنيا"[5] فقال أبو راس " وكان بنائه حوالي 470 هـــ وتعتبر القصائد الشعرية التي نظمها ابن حمديس في وصف قصر اللؤلؤة

---

[1] - عويس، المرجع السابق، ص 100.

[2] - قصر الكوكب، وقصر أميمون، شيدا في الجهة العليا من المدينة، يرى من أعلاها البحر، ولا نعرف النادر عن هندستهما، مجهول .**الاستبصار**، المصدر السابق، ص 229.

[3] - مصطفاوي، المرجع السابق، ص 373 386، ويحتمل أن قصر اللؤلؤة كان مشيدا في أعلى كدية البريجة العليا

[4] - مجهول **الاستبصار**، المصدر السابق، ص 286.

[5] - ابن خلدون، المصدر السابق، 198.

من أهم الوثائق المكتوبة التي تذكر بعضها مواصفات هذا القصر، كان القصر يمتاز بالعلو واللمعان وهو ما أشير إليه في البيتين الآتيين:

- وكأنه من ذرة شفافة تغشى الغيوم بشدة اللمعان

لا يرقى الراقي إلى شرفاته إلى بمعراج من اللخصان[1].

وكما كان لهذا القصر ملحقا به متجدد تطرق الشعائر ابن حمديس إلى وصف محرابه وقبابه قائلا:

كأنما المحراب من عمدان

فسماؤه في سمكها علوية وقبابه فلكيه البنيان[2].

لعل هذه القصيدة تعكس صورة صادقة لما كانت تزدهر به قصور بجاية من فخامة وأناقة ودقة في البنيان وروع في الزخارف والتي تعكس مدى التطور الذي وصل إليه الفن الحمادي في بجاية بالمقارنة مع القلعة[3]. ونحن نعتقد في غياب التخطيط معماري لقصور بجاية أنها كانت أكثر تطور من الناحية الفنية الجمالية من قصور قلعة بني حماد بالمسيلة[4]. ولقد ذكر " دوبيلي" نقلا عن البجاوي أن قصر اللؤلؤة شرع البناء فيه خلال عهد الناصر بن علناس، أما تمامة فقد

[1] - ابن حمديس الصقلي، **الديوان**. تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، د ت . ص 545.

[2] - نفسه، ص 548، يظهر لي من شعر ابن حمديس أن قصور الدولة التي تحدث عنها كانت أية من آيات الفن المعماري.

[3] - رشيد بورويبة ، **الفن المعماري الصنهاجي، وأثره في صقلية**، دار الثقافة للنشر، العدد 19، محرم صفر، 1394 هـ، فيفري، مارس، 1974 م، ص 30، 33.

[4] - بورويبة المرجع السابق، ص 40.

تأخر إلى سنة494هـ/ 1100 م، أي بعد وفاة الناصر أواخر عهد ابن المنصور[1]الذي ألحق بالقصر مسجد الدخل إليه من اثني عشر بابا ومكون من طابقين وتعلوه قبة كبيرة وتتركز على أثنان وثلاثون عمودا ويعد من أروع المساجد أنذك بعمارته وزخرفته وإن لم يبق له أثر اليوم[(2)].

- الخزف:

ومما يجدر التحدث عنه أيضا الخزف فإن الشقق التي عثر عليها في القلعة وفي بجاية وأشير كثيرة. فقد عثر الأثريون على قطع عديدة وأنواع مختلفة من الخزف والفخار ذي البريق المعدني والصيني والأزرق والأبيض والمنمق بالصليب والنجوم ذو ثمانية أضلاع فكلما كانت موجودة في قصور القلعة قبل أن تظهر في كل قصور الحمراء والأندلس[(3)]. والأواني المطلية ذات البريق المعدني[(4)]. بالإضافة إلى أنواع أخرى من الخزف المطلي، العادي، والمزخرف بالرسوم فهذا النوع من الأواني تستخدم بجمالها عوض الأواني الفضة والذهبية[(5)].

[1] - في عهده المنصور تصدرت عاصمة الحمادين بازدهار حركة التقدم العمراني قفد كان كما يصفه ابن خلدون" مولعا بالبناء وهو الذي حضر ملك بني حماد وتأنق في اختطاط المباني والمصانع واتخاذ القصور وإجراء المياه في الرياض والبساتين" ابن خلدون .ص 547.

[2] - أنظر debely kalaa des ben ammed paris lerousc 1092 dider lalgerie et sa civilisations pp 102 104 la ,

[3] - صالح بن قربة، **المسكوكات المغربية من الفتح الإسلامي إلى سقوط دولة بني حماد**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986 م، ص 505.

[4] - نفسه، ص 507.

[5] - هنا الخزف أصله من الصلصال المحروق ثم أضيفت إليه بعض المواد التي أكسبته بريقا معدنيا، يجعله صالحا لأن يكون بديلا لأواني الذهب.

إن هذه التيارات الفنية كانت تذهب من الشرق إلى الأندلس عن طريق مصر وإفريقيا والمغرب الأوسط والتأثير كان يعم البناء والخزف، الزجاج والبرونز والجبس[1].فإن قصر أشير كان أية الأندلسيين يشرفهم والمنار ودار البحر وصومعة المسجد تدهشك بروعة تناسقها وبروعة ودقة الصنعة وإتقان العمل في جميع تلك الأواني المطلية البراقة[2].

فالحضارة الحمادية إذن مشرقية فأينما وليت نظرك في قصور القلعة وبجاية وفي أثارها وجدت ما ينطبق بأثر الفن الشرقي فقال الأستاذ مرصي: « إن الحضارة الحمادية تظهر تحت تأثير المشرق وأثارها لا نظير لما يبقيه وطن المغرب، وهي شاهد قوي على رقي الحضارة الإسلامية المغروسة بالجزائر..»[3].

الفنون الجميلة:

إن الحماديون عاشوا حياة باذخة في قصورهم محفوفين بالعلماء والأدباء والفنانين من موسيقيين ورقاصين. ولقد سارت الموسيقى والغناء شوطا في ظل الحماديين، وأصبح الملوك والأمراء الحماديين يعنون بالمغنيين والمغنيات وأرباب الفن فيستخدمونهم بقصورهم ويجلسون إليهم[4].

[1] - محمد الطمار، المرجع السابق، ص 159.

[2] - العربي، المرجع السابق، ص 127.

[3] - الكعاك، المرجع السابق، ص 296.

[4] - مجهول . **الاستبصار**، المصدر السابق، ص 128.

وكلما أدرجنا حول العمارة والفنون للدولة الحمادية بالقلعة يمكننا أن نقول أن دولة الحماديين كانت صفحة من ألمع صفحات الحضارة الإسلامية فهذه الدولة كانت لها مكانة جديرة بالاحترام ومن خلال تاريخ الخزف الصيني والإسلامي بالمغرب وهذا خلال حديث بيله عن حرفيات بالقلعة فقد كانت القصور روائع هندسة وفنية احتذت بها كثير من البلدان الشرقية منها الغربية[1].

النقش على الجص:

الزخرفة الجصية التي تزين مسجد قصر المنار والجامع الكبير بقسنطينة وتاج القسم الغربي بقصر المنار يحمل عناصر مختلفة.

- مشبكات مزينة بلآلئ ترسم مربعات بثمانية أسنان ووسطها أشكال نباتية مندرجة في دائرة.

- أشكال هندسية ونباتية[2].

[1] - مبارك بن محمد الميلي، **تاريخ الجزائر القديم والحديث**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1976، ص 202.
- يبدو لي فيما يخص الخزف الصيني الذي عثر عليه في بجاية ينتمي إلى أصول عديدة بحكم أن بجاية كانت موجودة قبل أن يستوطنها الحماديون فتواتر عليها من بعده حكام كثيرون وأجناس عديدة.

[2] - بورويبة، المرجع السابق، 306.

النقش على البرنز:

عثر القائد دي بيلي على تحف عديدة من البرنز منها، جزء من قفل ورجل إناء شوكة ذات أسنان قصيرة وصفيحتان ورأس مسمار، وقطعة مزينة بزخارف هندسية ونباتية وكتابية[1].

[1] - بورويبة، ص 309.

الفصل الثاني

تمهيد:

دولة المرابطين دولة مجاهدة لعبت دورا هاما و خطيرا في التاريخ الإسلامي بصفة عامة و تاريخ المغرب و الاندلس بصفة خاصة فقد تمكنت من نشر رايات الاسلام في ربوع السودان الغربي و نشر الثقافة الاسلامية بين تللك القبائل البر برية المتخلفة ثم لم تلبث ان توسعت صوب الشمال فاقتحمت ميدان المغرب و الاندلس و شاركت في معركة الجهاد فأنقذت الاسلام مما يوشك ان يتردى فيه و ناصبت الممالك المسيحية في اسبانيا العداء و تصدت لعدوانهم وروت بدماء اهل المغرب ارض الاندلس و ذلك في معركة الزلاقة التي وقعت في سنة 479هـ بين جيوش المسلمين من دولة المرابطين و جيش المعتمد بن عباد و التي انتصرت على قوات الصلبين الملك القشتالى الفونسو السادس و في هذه المعركة كتب للأندلسيين حياة جديدة امتدت اربعة قرون أخرى بعد ان كانت على موعد مع الفناء و الاستئصال

بلاد المغرب شهد ابان القرنين الخامس و السادس الهجريين تحولا سياسيا يبنى على اسس دينية اصلاحية و ذلك حينما قامت دولة المرابطين هناك و التي حكمت تلك الديار خلال الفترة من 448هـ 541-هـ الا ان حكمها لبلاد المغرب كان له اثر واضح لاسيما في الميدان السياسي و الحضاري و مما لا ريب فيه ان تاريخها يعد حلقة مهمة في التاريخ الإسلامي.

نبذة تاريخية عن دولة المرابطين: 484هـ- 541هـ/ 1056م- 1147م

يبدأ تاريخهم في جناح المغرب الأيمن في الصحراء الغربية او ما يسمى بالسودان الغربي في هذه الصحراء الشاسعة كانت تعيش قبائل صنهاجة وهذه القبائل الصنهاجية كانت امتداد لقبائل صنهاجة التي تعيش في الشمال و من اهم هذه القبائل .لمتونه وجدالة ولمطة ومسوفة وجزولة وهذه القبائل الصحراوية الجنوبية كانت تختلف عن اقربائها في الشمال في انها تتلثم و لهذا سميت بصنهاجة اللثام[1] واصبح اللثام شعارا عرفوا به الى ان تسموا بالمرابطين او الملثمين[2] و يبدو ان اطلاق اسم الملثمين في بدايته كان خاصا بقبيلة لمتونه ثم توسعت و اصبح شعار لكل من حالف لمتونه و دخل تحت اسم سيادتها[(3)].

اما سبب تسميتهم فقد وردت اقوال كثيرة في سبب تسميتهم بذلك منه من اجدادهم كانوا يتلثمون لشدة الحر ومنها انهم امنوا بالرسول (ص) وكانوا قلة فاضطروا للهروب لما غلبهم اهل الكفر فتلثموا بقصد التمويه[4]

سكن الملثمون الصحراء الكبرى الممتدة من غدامسن شرقا الى المحيط الأطلسي غربا ومن جبال درن شمالا الى اواسط الصحراء الكبرى جنوبا[1]

---

[1] - عبد المنعم حمدي، **تاريخ المغرب الأندلس في عصر المرابطين**.ط1 .دار المغرب الإسلامي للنشر 1403ه/1983م ,ص 200

[2] - لقد لقبو بألقاب عديدة، ولكن هناك لقب يتعلق باسمه، وهو " الملثمون" وكانوا مثل أحفادهم الحاليين المعروفين بالطوارق الذين يضعون اللثام وهو قطعة من القماش، يغطي بها الرجال وجوههم، من الأسفل إلى الأعلى، جورج مارسيه، **بلاد المغرب وعلاقتها بالمشرف في العصور الوسطى**، ترجمة محمود عبد الصمد هيكل، مشآة المعارف بالإسكندرية للنشر، ص 265.

[3] - حمدي، المرجع السابق، ص 21.

[4] - احمد بن خلكان، **وفيات الاعيان و أنباء أبناء الزمان** .المطبعة اليمنية .مصر 1310. ص 130.

عرف عنهم الشجاعة في القتال و انتشر الاسلام بين هذه القبائل عن طريق رحلات التجار وظلوا حتى القرن الخامس الهجري متفرقي الكلمة وبعيدين عن روح الاسلام حتى حدثت فيهم ثورة دينية اصلاحية ألفت بين قلوبهم ووحدت صفوفهم و يرجع الفضل في هذا الاصلاح السياسي و الاصلاح الديني الى يحيى بن ابراهيم الجدالي[2]. زعيم الملثمين و الفقيه عبد الله بن ياسين[3] و هما من أصل صنهاجي([4]) .

وضع عبد الله بن ياسين أسسه الإصلاحية على أساس التمسك بالدين على مذهب مالك ونشر دعوته بين قومه[5] عندما دخل ابن ياسين بلاد صنهاجة في صحبة زعيمها يحيى بن ابراهيم فنزل على قبيلة لمتونه التي بالغت في اكرامه و الترحيب به فاخذ يبث تعاليم الدين بينهم ويبصرهم بأحكام الاسلام ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ولكنهم ذاقوا ذرعا بتشدده عليهم فأخذوا ينفرون منه[6] لكن بعد ذلك رحل عبد الله بن ياسين الى جزيرة نائية اين انقطع عنهم جميعا من أجل العبادة و لكن لم تكد تمضى ثلاثة اشهر على ذلك حتى تسامع الناس

---

[1] - نفسه، ص 135.

[2] - لم تشر المصادر التي ترجمت للأمير يحي عن نشأته الأولى ولاحتي سنة ولادته انما اكتفت بذكر بعض الأحداث المهمة والرئيسة التي عاشها، يحي ابن ابراهيم، اذ أن أغلب المصادر ربطت ترجمته، انطلاقا من سنة 427، ه 1035 م وهي السنة التي رحل فيها، لأداء فريضة الحج، والتي عاصرت، بداية نشأت الدولة المرابطية .أبوعبد الله ا لبكري، **المغرب فى ذكر بلاد ا فريقيه و المغرب .مقتطف من المسالك و الممالك .** تح بالفرنسية .البارون ديسلان .مكتبة امريكا و الشرق .باريس 1965. ص 220

[3] - عبد الله بن ياسين الجزولي، فقيه وزعيم ديني للمرابطين، وقد وصفه ابن أبي زرع " لأنه من أهل الفقه والدين والتقى" والورع والأدب والسياسة أنه كان مشاركا في العلوم" ابن أبي زرع المصدر السابق ص 83،

[4] - عبد الرؤوف الفقي، **تاريخ المغرب والأندلس**، مكتبة نهضة المشرق، للنشر القاهرة، ص 249 – 252.

[5] - الفقى .المرجع السابق . ص 255.

[6] - البكري، المصدر السابق، ص 164.

بأخباره واخبار اهل الرباط[1]. فاقبلوا عليه فاخذ يقرأهم القرآن ويفقههم في الدين و يرغبهم في ثواب الله حتى تمكن حبه في قلوبهم[2].

ثم أمر ابن ياسين أتباعه وتلاميذه بأن يذهب كل منهم إلى قبيلة ويدعوهم إلى العمل بأحكام الله وسنة نبيه، فلما لم يجدوا استجابة من أقوامهم خرج إليهم بنفسه ولكن دون جدوى فلما يئس منهم فأعلن الجهاد والحرب عليهم[3].ثم اتجهت جموع المرابطين أين خاضوا معهم معركة شرسة أين أوقعوا بهم الهزيمة وأرغموهم على الدخول في طاعة ابن ياسين ومبايعته على إقامته الكتاب والسنة[4].

خرج المرابطون[5].من الصحراء بقيادة الزعيم الديني عبد الله بن ياسين واتجهوا إلى بلاد السوس وقضوا على الشيعة والوثنين وقاتلو اليهود والمنتشرين في تلك النواحي، وأعادوا تلك المناطق إلى أهل السنة والجماعة، ثم نجح المرابطون في اخضاع الزناتين وسيطروا على المغرب الأقصى ثم زحفوا إلى المغرب الأوسط وفتحوا مدينتي تلمسان ووهران واقتربت

[1] - الرباط، في العرف الإسلامي هو المكان الذي يتمركز فيه المجاهدون في حدود الدولة الإسلامية للدفاع عنها ضد أعدائها، وقد استمد معنى الرباط في قوله تعالى" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل، ترهبون به عدو الله وعدوكم.

[2] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 85.

[3] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 375.

[4] - ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص 698.

[5] - بالنسبة للقب المرابطون" فهو يشير إلى الرباط الذي اتخذوه بالقسم الشمالي للسنغال حيث تلقوا تدريبا عسكريا ود ينيا غير هؤلاء رجال الدين الذين يعيشون على تربية الجمال ونتاجها للمحاربين في سبيل العقيدة، مارسيه، المرجع سابق، ص 256.

قواتهم من المغرب الادنى بعد كفاح دام عشرين عاما حيث أصبح المرابطون سادة المغرب دون منازع (447 هـ - 467 م)[1].

لقد مرت دولة المرابطين قبل قيامها بمراحل التعريف، والتكوين، والتنفيذ، أما مرحلة التمكين فهي التي جعلت ملامح دولة المرابطين واضحة للعيان فقد شهدت مرحلة التعريف والتكوين وجزء من التنفيذ اشراف عبد الله بن ياسين أما بقية المعارك فقد قام بها تلامذته المخلصون من أمثال أبي بكر بن عمر، يوسف بن تاشفين[2]

أما صاحب الفضل في مرحلة التمكين والتوسع والانتشار الفعلي فهو يوسف بن تاشفين منقذ الأندلس من الضياع ومبيد الحركات الفكرية البديعية من الوجود[3].

التعليم و مؤسساته:

أ/ اهتمام المرابطين بالتعليم:

اهتم المرابطين بالتعليم ونشروه منذ اللحظة الأولى التي ارتبطت بها دعوة ابن ياسين، وأخذو يقبلون إلى الكتاتيب والمدارس في شغف واعتنوا في نشرها في أنحاء المغرب[1]. فلما

---

[1] - الفقي، المرجع السابق، ص 203.

[2] - هو يعقوب بن يوسف بن تاشفين المتوني الصنهاجي (400- 500هـ/ 1009، 1106) تلقى تعليمه الأول في قلب الصحراء، وتربى على تعاليم الإمام الفقيه ابن ياسين حيث نبغ في فنون الحرب والسياسة الشرعية، كان ابن تاشفين كثير العفو مقربا للعلماء وكان حازما يخطب لخليفة العراق، ابن الأكثر، **الكامل في التاريخ**، ط 4، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 177.

[3] - علي محمد الصلابي، **فقه التمكين عند دولة المرابطين**، ط 1، مؤسسة اقرأ لنشر والتوزيع، القاهرة، 1427 هـ/ 2006 م، ص 37.

احتكوا بحضارة الأندلس الرفيعة تفتحت أمامهم أفاق جديدة في العلم فاهتموا بالتربية وتعليم أبنائهم ولم يكن التعليم مقصورا على النظام الذي كان معمولا به من قبل، إذا كانوا يرسلون أبنائهم إلى الكُتاب الذين يسمونه المحضرة أو الحُضار أو المسيد[2]. وبرغم اهتمامهم بالتعليم إلا أنه لم يكن عندهم مدارس خاصة لتلقى العلم كما كان بالمشرق بل ظل المسجد هو المكان المخصص للدراسة فإن لم يكن المسجد فبيت الأستاذ نفسه وطالب العلم هو الذي ينفق على نفسه*

وكان ابن عبدون: « ينهي عن تعليم الأطفال في المساجد ويأمر بأن يكون لهم محضرة خاصة بهم وان كان ولابد في المسجد فتكون في السقائف الخشبية أن يتسبب الأطفال في نجاسة المسجد»[3]. لقد قامت دولة المرابطين على أساس ديني دعوة عبد الله بن ياسين كان هذا الطابع الديني يسود الحياة العامة في البلاد ومن هنا كان اهتمام ولاة الأمر من المرابطين ببناء المساجد وتعميرها باعتبارها مركز الإشعاع الفكري للدعوة المرابطية فضلا عن تأدية الفروض وتنفيذ تعاليم الدين[4]. فقد شهدت العاصمة مراكش اهتماما بالغا بإنشاء المساجد و العناية بها عندما شرع أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في بناء العاصمة بدأ في بناء مسجدها الكبير[5].

---

[1]- حمدي، المرجع السابق، ص 265.

[2] - عبد المجيد النجار، **المهدي بن تومرت**، ط 1، دار المغرب الإسلامي للنشر 1403ه/ 1983م، ص 95.

[3] - سبب تسمية الكتاب بالمخضرة، لحضور التلاميذ إليه لكونه يحضرهم، ويمكنهم للتعليم المتوسط أو العالي، كلمة المحضرة أو الحضار مازالت مستعملة بالمغرب.

[4] - ابن ابن زرع، المصدر السابق، ص 168.

[5] - ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 108.

فلما تولى ابنه أمير المسلمين علي بن يوسف اهتم بالزيادة في البناء[1] .وهكذا شهد المغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين اهتماما بالغا من ولاة الأمر في بناء المساجد والاعتناء بها وادخال التحسينات عليها.

ب/ شروط المعلم المؤدب:

كان اهتمام المرابطين حتى بالشخص الذي يقوم بتأديب الصغار واشترطوا فيه شروطا عديدة لأنه مسؤول عن تربية وتعليم الصغار فكان يشترط في المؤدب ألا يكون عزبا ولا شابا بل شيخا خيرا، دينا عفيفا ورعا، قليل الكلام والاستماع إلى مالا يعنيه وأن لا يحضر الجنائز البعيدة ولا يكثر من البطالة ولا يهمل الصبيان ولا يتغيب عنهم إلا لأخذ الغذاء والوضوء ويكون راتبا في مكانه ومحافظ على جوائح الصبيان[2]. ومن الاشتراط على المؤدب ألا يكثر من عدد المتأدبين عنده حتى يستطيع أن يؤدبهم ويعلمهم، إلا أن كثيرا من أصحاب هذه الكتاتيب لا يلتزمون بهذا الشرط بحيث يباح للمؤدب المشهود له بالصلاح والعلم وعدم الجشع وإذا وجد في نفسه القدرة أن يعلم عدد أكبر من الصبيان[3].

---

[1] - محمد عبد العزيز الشريف الفاوري الإدريسي، **وصف المغرب والأندلس**، تحقيق دوزي، ودي غوية، سنة 1866 م، ص 68.

[2] - المهدي بن محمد السعيدي، **المدارس العلمية العتيقة، بالمغرب واشعاعها العلمي والأدبي**، منشورات وزارة الأوقاف، الرباط، 2006، ص 26.

[3] - السعيدي، المرجع السابق ، ص 30.

وكما يتفق مع المؤدب أو المعلم على عقد ينص فيه على مرتبة وما يشترط عليه[1]. ويتفاوت الأجر من مؤدب إلى آخر ويرى البعض أن الأجر رمزي وأن الغاية من الجلوس هو تعليم القرآن فإن ابن العربي يؤكد على ذلك بقوله « وأني إن كنت آخذ منهم الأجرة فإني لم أجلس لها من أجلها وإنما جلست لتعليمهم كتاب الله»[2]. وقوله علية السلام « **خير من تعلم القرآن و علمه»**

جـــ/ طريقة التدريس:

يرى ابن عبدون « ألا يؤدب الصبي بأكثر من خمسة أسوط للكبير وثلاثة للصغير، وتكون من الشدة على حسب احتمالهم وذلك أن إرهاق الجلد في التعليم مضر بالمتعلم لاسيما أضافر الولد»[3].

وكثيرا من الفقهاء الذين يرى بضرورة استعمال الشدة في تعليم هؤلاء الصغار حتى يتعودوا من صغرهم على العلم[4].أما المواد التي كانت تدرس لهؤلاء الصغار في المرحلة الأولى للكُتاب هو تعلم القرآن الكريم الذي جعلوه أصلا في التعليم ثم أخذهم بقوانين العربية وحفضها

---

[1] - يبدوا لي أن المرتب أو الأجر الذي يتقاضاه المؤدب أو المعلم والذي يتم على عقد ينص فيه على أن هذا الأجر نفسه سائد في جميع العصور الوسطى وخاصة المغرب الأوسط والأقصى.

[2] - أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن العربي المعافي، **أحكام القرآن**، تح علي محمد البجاوي، القاهرة، 1967م، ص 73.

[3] - محمد أحمد التجيبي ابن عبدون، **ثلاث رسائل أندلسية في أدب الحسبة المحتسب**، تح ليفي بروفنسال، القاهرة، 1955 م، ص 25.

- هناك من المؤرخين من هو مخالف بهذا الرأي بحيث يقولون" ضرب المعلم للصبي كالماء على الزرع" الزجال، المرجع السابق ص 223.

[4] - السعيد، المرجع السابق، ص 30.

وتجويد الخط والهجاء وحسن الألفاظ في القراءة وتجويد التلاوة[1]. ويأمر من كان كبيرا للصلاة ويكتب له التشهد أما القاضي أبو بكر العربي[2]. « فكان يرى تقدم العربية والشعر على سائر العلوم لأن الشعر ديوان العرب » ثم ينتقل إلى دروس القرآن فإنه يتيسر عليه بهذه المقدمة، لأنه من الصعب أن يؤخذ الصبي بكتاب الله يقرأ مالا يفهم فيكل ويتعب عن فهم غيره ثم بعد ذلك في أصول الدين ثم أصول الفقه ثم الجدل ثم الحديث وعلومه ونهى مع ذلك أن يخلط في تعليم علمان إلا أن يكون المتعلم متقبلا لذلك لجودة فهمه ونشاطه وذكائه[3].و إذا ما أشرنا إلى الدراسات والعلوم التي كان يتعلمها أبناء الشعب لوجدنا تنوعا في المناهج الدراسية وذلك تبعا للمعهد العلمي الذي يدرس فيه.

وإن كانت جميعها تتخذ العلوم الدينية من تفسير وحديث أساسا ومنهاجا فيها يدرس الطالب يحفظ القرآن مع الإلمام بالقراءة والكتابة[4] أما الدراسة في الرباط فكانت تفسير القرآن والحديث والفقه وشعر المواعظ والأناشيد الدينية وذلك كله بطريقة مبسطة[5]أما في المساجد فكان المذهب المالكي وكتبه هو محور الدراسة في المساجد في العهد المرابطي[6].

---

[1] - ابن عبدون، المصدر السابق، ص 25.

[2] - سعيد أعراب، **القاضي أبي بكر العربي**، ط 1، دار العرب الاسلامي، 1407، ص 105.

[3] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 362.

[4] - ابن القطان، المصدر السابق ص 132، 133.

[5] - أبو القاسم حلف بن عبد الملك، لأبن بشكوال، **الصلة في التاريخ أئمة الأندلسية**، نشر وتصحيح عزت الحسني، 1955م،ص 387.

[6] - ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 74.

د/ المدارس:

وجه ولاة الأمر بالمغرب الأقصى اهتمامهم إلى التعليم ونشأ عن ذلك أن بنو عدة مدارس في أجزاء متفرقة من البلاد وذلك لتخريج المتعلمين، وكانت أولى المدارس التي أنشأت في عهد يوسف بن تاشفين تسمى مدرسة (الصابرين) ولم تذكر المراجع مكان بنائها[1]. أما بالنسبة لنظام بناء المدارس كانت من طابقين وفي وسطه صحن مكشوف و حوض ماء وكانت بعض المدارس متصلة بالمسجد المجاورة لها بينما كان البعض الآخر مستقلا يضاف إلى ذلك أنها كانت تشتمل غالبا على عدة غرف وعلى قاعة كبيرة للدرس[2].

نشأة المكتبات:

ارتبط ظهور المكتبات في المغرب ارتباطا وثيقا بحركة الانتاج الفكري بها من حيث الكثرة والتنوع وارتبطت هذه الحركة بدورها ارتباطا وثيقا بالحياة العقلية والفكرية بالبلاد.

وهذا ما يعبر عنه أهل الاختصاص في عصرنا الحديث بنجاح الإنتاج بما تحتويه من البحث والخبرة والتكوين والتأليف والاسترجاع و بما تحتويه من التحليل والتنظيم و الخدمة[3]. فالمكتبات على أنواعها زادها الأساسي المؤلفات أو المصنفات على تباين موضوعاتها واختلاف

[1] السعيدي، المرجع السابق، ص 35، 40.

[2] - عصمت عبد اللطيف، دندش، **الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين**، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1408، ص250.

[3] - حامد الشافعي دياب، **الضبط البيبليوغرافي، للإنتاج الفكري للأندلس**، بحث قدم إلى الملتقى الدولي حول المراكز الثقافية، في المغرب العربي، الجزائر، وهران، ص 102

أنماطها من حيث كثرة أو القلة فهي تعتبر المرفق الخاص لهذه الأوعية الفكرية وأن هذه الأوعية ثمرة جهد المؤلفين والعلماء في البحث والدراسة والخبرة والتجربة، وهذا كله طبيعي لرقي الحياة العقلية والعلمية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة في ذلك الوقت التي دفعت بحركة التأليف والابتكار إلى الأمام قدما

المكتبات عند المرابطين:

الوضع الثقافي:

عندما تحققت الوحدة الترابية لأول مرة في تاريخ المغرب[1] توسعت مهمة المرابطين[2]. في النصف الأول من القرن الخامس الهجري، ساهمت مجموعة من العوامل في استقرارهم أولا في المغرب وبعد ذلك في إسبانيا.

توثقت الروابط بين الحضارة المغربية والحضارة الأندلسية خاصة بعد الزيارات المتكررة التي قام بها ابن تاشفين للأندلس فقد تتلمذ البربر المغاربة في المدارس الأندلسية

[1] - المغرب الذي نتحدث عنه لم يكن منها في الحدود الحالية، إنما كان يمتد على كل المغرب العربي وجزء من اسبانيا.

[2] - المرابطون دولة أسسها مختلف أعيان قبيلة صنهاجة، والصحراء، محمد علي دبوس، **تاريخ المغرب الكبير**، الجزء الأول، مؤسسة تاويت الثقافية، 2010، ص 115.

وأصبح تعايش عريض تحت كنف الدولة المغربية الجديدة[1]. مع مطلع القرن 7هـ/و 12م أصبحنا لا نستطيع أن تفرق بين المغرب والأندلس بحيث تآخي فيه عناصر هاذان البلدان، فكان امراء المغرب على غرار الولاة العرب في الأندلس كانوا يستقطبون الأدباء توخيا لصنع المجالس الفاخرة وجلب العلماء والشعراء[2].

خزانة الكتب عند المرابطين:

أن المكتبة الأولى والوحيدة التي عرفها المؤرخين في عهد المرابطين هي خزانة كتب الخليفة " الإدريسي " يحي الرابع" ولكن في الواقع التاريخي لم يقدم لنا ما يكفي من المعلومات عن أصلها وتأسيسها.

إلا أن صاحب الحلل الموشية من خلاله عرفنا أن ابن تاشفين الذي اشتهر بكونه مؤسس هذه الخزانة[3]. ويبدوا أن الكتب الأولى لهذه المكتبة قد تكونت في خزانة ملوك الطوائف وكما يبدو وأيضا أن عددا من المخطوطات التي كانت في حوزة الخليفة الأموي قد انتهت إلى خزانة ابن تاشفين فقد واصل من بعد يوسف بن تاشفين الاعتناء بهذه المؤسسة كل خلفائه وخاصة ابنه

[1] - يظهر لي أن الاحتكاك والتزاوج، بين الحضارتين المغربية والأندلسية سبب أو ساعد في نمو الحركة العلمية والنشاط الكبير في تأسيس المكتبات التي ذاع صيتها فيما بعد

[2] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 148.

[3] - ابن الخطيب، **الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية**، حققه سهيل زكار و عبد القادر رزمامة .ط1 .197 نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة .ص 74.

علي حيث تربع على العرش انطلاقا من القرن 6 هـ- 12 م[1]. وهي الفترة التي لوحظت فيها الانطلاقة الحقيقية برقي الخزانة في المغرب، بحيث واصل عمل والده بحيث زود الخزانة بروائع المخطوطات[2].

فلقد جاء علي بن يوسف بن تاشفين[3]. بالكتب من كل أقاليم الأندلس هدفا في جمع مكتبة لم يسبق الى مثلها حسب صاحب المعجم فمجموع هذه المؤسسات الملكية كانت مكونة في عمومها من كتب المذهب[4] إن التطور العلمي الذي عرفته خزانات الكتب المغربية يلاحظ فيه حضور بعض المميزات المشتركة فيما بينها ففي البداية كانت هذه الخزانة كلها تقريبا في متناول الأدباء وطلاب العلم وخزانة الكتب الملكية التي اعتبرت مؤسسة شبه عمومية كانت مفتوحة أمام العلماء، أما المثقفين من حاشية السلطان كان يختلف إلى خزانات الكتب الخاصة التي اعتبرت مؤسسات شبه عمومية [5].وفيما يخص الخزانات العامة فقد كانت رهن اشارة جمهور واسع، وكما نلاحظ على العلوم تشابهها بين الكتب التي كانت تشكل مجموعات مختلفة في المغرب[6]. فقد كانت تظم هاته المجموعات جميعها كتب التفسير، مجاميع الحديث، مؤلفات

---

[1] - على بن يوسف رحمة الله عليه أمير كبير فاضلا معتدلا عظم في ايامه الملك و اتسع العز ملك جميع بلاد المغرب إلى بجاية إلى الأرض الأندلسية والجزر الجوفية وبلاد القبلة بأسرها وخطب له أكثر من ألفي منبر، نفسه، ص88

[2] - ابن الخطيب، مصدر سابق، ص 100.

[3] - نفسه، ص 82.

[4] المراكشي .المصدر السابق .ص148

- حكم السلطان علي بن يوسف من سنة 500- 537 هـ/ 1100- 1143 م.

[5] - يبدوا لي أن التطور العملي الذي شهدته الخزانات الكتب المغربية يعد بالأساس إلى الاهتمام الكبير والرعاية التامة من طرف الأمراء والحكام المغرب لأنهم أولو درجة مرموقة لحركة تأليف والمؤلفين وهذا ما أعطى دفعا لازدهار المكتبات أنذك.

[6] - حسن الوزان ،المصدر السابق ,ص 184.

الفقه والأدب واللغة[1]. فقد كانت المكتبات المغربية تحظى بأهمية خاصة فالكل كان يساهم في تزويدها بالكتب[2]. وكانت الخزانة الملكية والخزانات الخاصة تتزود أساسا عن طريق ابتياع الكتب، أما فيما يتعلق بالخزانات العامة، فقد كانت تتزود أساسا بالوقف[3]. امثلة عن بعض المكتبات المنتشرة أنداك مكتبتين خاصتين توجد الأولى بالقصر الملكي بفاس و الثانية عبارة عن مكتبة متنقلة. الخزانة الملكية التي تعتبر اليوم اغنى خزانة من حيث عدد وثائقها و من حيث قيمة و ندرة ونفاسة محتوياتها ومن اشهر هذه المكتبات.

خزائن الاسر العالمة و منها مكتبة ابن الغرديس .ابن القاضي في فاس .خزانتي جامع القرويين و جامع ابن يوسف. خزانات المدارس العتيقة (العمومية)و ظهرت بالمغرب ابتداء من القرن السابع هجري لإيواء الطلبة ولتامين الدروس[4].

مشاهير علماء دولة المرابطين:

كانت دولة المرابطين مبنية على أسس شرعية ولذلك اهتمت بالعلماء والفقهاء الدين لا دوام لدولة تريد أن تحكم بشرع الله بدونهم ولذلك كثر المحدثين والفقهاء منهم .

[1] - المراكشي، المصدر السابق، ص 206.

[2] - تفسه . ص 265.

[3] - يظهر لي أن المكتبات، على العهد المرابطي، أو بصفة عامة في المغرب، كانت تحضي بأهمية خاصة جدا عند جميع الفئات والدليل على ذلك أن الكل كان يساهم في تزويدها بالكتب.

[4] - الصلابي .المرجع السابق.ص120

أ/ **أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد الجد (ت 520هـ)** هو الإمام العلامة شيخ المالكية قاضي الجماعة بقرطبة أبو الوليد، من أشهر شيوخه الذين تتلمذ عليهم أبو جعفر أحمد بن رزق، أبو مراد بن سراح، الحاف أبو علي، وأبو العباس ابن ولهات[1]. قال عنه ابن بشكوال « كان فقيها عالما حافظا للفقه مقدما فيه على جميع أهل عصره .. بالفتوى، بصيرا بأقوال أئمة المالكية»[2].من أشهر فتاوي ابن رشد الجد ما أفتاه في شأن المعاهدين من النصارى في بلاد الأندلس[3] عاش هذا العالم الجليل 70 عاما.

ب/ القاضي الفقيه أبو علي الصدفي: هو العالم الفقيه القاضي المحدث الحسين بن محمد بن سكرة روى عن أبي الوليد الباجي محمد بن سعدون القروي ثم رحل للعراق فسمع بالبصرة من جعفر بن محمد بن الفضل العبا داني وعبد المالك بن شبعة[4]. تفقه ببغداد على يد أبي بكر الشاشي وأخذ بالشام عن فقيه نصر المقدسي ثم رجع إلى بلده بعلم كبير ثم استوطن مرسية وجلس للاستماع بجامعها[5].

كان عالما بالحديث وطرقه و علله، ورجاله وكان جيد الضبط وكثير الكتابة وحافظا للمصنفات الحديثة ثم ولى قضاء المرسية ثم أقبل على نشر العلم وتأليفه وكان صالحا دينيا

1 دندش .المرجع ا لسابق.ص266

[2] ابن بشكوال .المصدر السابق ,ص206

[3] - ابن ابى دينار .المصدر السابق .ص 120

[4] - ابن مريم المديونى ,المصدر السابق ,ص221

[5] - نفسه ,ص224

عاملا بعلمه حليما متواضعا تصدر في زمن علي بن يوسف في نشر الكتاب والسنة في مرسية بالأندلس وتوافد عليه الطلاب من كل مكان لينهلوا من علمه الغزير[1].

د/ القاضي الفقيه أبو بكر بن العربي: من أعظم فقهاء المرابطين هو القاضي أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الأندلسي ولد عام 468هـ ـ1086 م[2]. تأدب ببلده وقرأ القراءات ثم رحل إلى مصر والشام وبغداد ومكة وكان يأخذ عن العلماء أي بلد يدخل إليه حتى أتقن الفقه والأصول تبحر في التفسير وبرع في الأدب والشعر[3]. قال الشيخ صديق حسن خان عن العربي " إمام في الأصول والفروع سمع ودرس الفقه والأصول وحبس للوعظ والتفسير وصنف في غير فن والتزم الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر "[4] للإمام القاضي أبي بكر العربي مؤلفات كثير حيث مضى 40 سنة في التدريس وصنف في فنون متعددة ومن أشهر الكتب التي انتفع بها المسلمون: « العواصم من القواصم» " عارضة الأحوذي في شرح الترميذي "، أحكام القرآن، المسالك على موطأ الممالك " أعيان الأعيان"[5].

[1] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 257.

[2] - نفسه، ص 37

[3] - المراكشي، المصدر السابق، 163.

[4] - ابن الخطيب، الحلل الموشية، المصدر السابق، ص 76.

[5] - المراكشي، المصدر السابق، 171.

كان الإمام العربي من أعمدة دولة المرابطين في نشر الكتاب والسنة وتفقيه الناس وتربيتهم على مبادئ الإسلام وأخلاق الإمام ودرجات الإحسان، توفي بمغلية " قرب مدينة فاس" سنة 543 هـــ ودفن بها[1].

القاضي الفقيه عياض:

هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمر بن موسى اليحصبي السبتي، كان إمام وقته في الحديث وعلومه والنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم ولد في سبتة في عام 476هـــ تتلمذ على شيوخها ومن أشهرهم القاضي أبو عبد الله بن عيسى، الخطيب أبو القاسم، والفقيه اسحاق بن الفاسي وأبو بكر القاسم بن عبد الرحمن الكومي وغيرهم كثير[2].رحل إلى الأندلس أين تحصل على علوم غزيرة ثم تصدر للتعليم والتدريس وعين في القضاء ونبغ فيه واشتهر بعمله وعبادته ومؤلفاته أكثرها في الحديث الشريف ثم في التاريخ والطبقات ثم في الفقه والقرآن[3].لقد برع القاضي عياض في أمور عديدة منها: القضاء، الفقه، الحديث، اللغة، الأدب وكان شاعرا مجيدا وله موهبة رائعة تدل على قدرته على نظم الشعر[4].لقد اهتم علي بن يوسف بالقاضي عياض لما كان شابا وظهر ذكاؤه وانتشر صيته

---

[1] -المراكشي .المصدر السابق، ص 173.

[2] - عبد الله المرابطي الترغي، **فهارس علماء المغرب منذ النشأة إلى نهاية القرن** 12، ط 1، 1420 هـــ، 1990 م، ص65 – 68.

[3] - ابن سعيد شوقي ضيف ، **المغرب في حلي المغرب**، دار المعارف بمصر 1053م. ص 55.

[4] - ابن خلكان، المصدر السابق، ص 125.136.

فأكرمته دولة المرابطين وهيأت له الأجواء للمزيد من التحصيل و التفقه في الدين توفي رحمة الله في منفاه بعيدا عن وطنه في عام 344 هـ ودفن في مراكش[1].

من شيوخ المرابطين الشيخ أبو محمد يرزجان بن محمد الجزولي الضرير الذي قدم مراكش وكان عالما فاضلا بصيرا بمذهب مالك، صحب الإمام أبي بكر العربي[2].

لقد عكف كثيرا من العلماء في عصر المرابطين على الزهد والتقشف وعرفوا بالتقوى والورع وقد ذكر القاضي عياض[3].الشيخ لمتاد بن نصير اللمتوني الذي بلغ منزلة كبيرة في علمه حتى أن المثل يضرب بفتياه في بلاد الصحراء وتعظيم أمرها ومنهم أيضا أبو عبد الملك مروان اللمتوني الذي ذكر صاحب التشوق في عدد الأولياء[4]. وأبوا إسحاق بن يحي المسوفي أبو الحسن علي بن عبد الرحمن المعروف بابن أبي حقون وله مختصر في أصول الفقه سماه " المقتضب الإشفى في أصول المستصفى" وكذلك برز في عصر علي بن يوسف من فقهاء وعلماء الحديث أبو عبد الله محمد بن حسين بن أحمد الأنصاري المعروف بابن أبي أحد عشر[5]. هؤلاء بعض العلماء الذين كان لهم سبق ومكانة في دولة المرابطين وانتفع الناس بعلمهم وفقههم.

---

[1] - أبن خلكان، المصدر السابق ص 140.

[2] - القاضي عياض، المصدر السابق، ص 780.

[3] - ابن خلكان، المصدر السابق، ص 193.

[4] - ابن الآبار، المصدر السابق، ص 275.

[5] - ابن الآبار .المصدر السابق ،ص. 280.

مكانة طبقة الفقهاء والعلماء عند المرابطين:

احتلت طبقة الفقهاء والعلماء منزلة رفيعة في مجتمع المغرب الأقصى منذ قيام دولة المرابطين، وظهر للفقهاء والعلماء نفوذ في مجريات الأمور وخاصة في الدولة المرابطية ويرجع السبب في ذلك أن الدولة قامت على أساس ديني ودعوة اصلاحية [1].فالدولة المرابطية قامت على دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية في صحراء المرابطين والقادة الأوائل للدولة الذين تربوا في رباط عبد الله بن ياسين حيث درسوا أسس الدين الصحيحة ومبادئه القومية، ومن هنا كان المبدأ الديني هو القاعدة الأساسية التي ترتكز عليها الدولة في سياستها وبالتالي فإن القائمين على شؤون الدين والمشتغلين بعلومه احتلوا مكانة مرموقة في المجتمع المغربي وبجانب ذلك فإن التكريم والتقدير من جانب الأمراء المسلمين في دولة المرابطية زاد من مكانتهم ونفوذهم[2].فأمير المسلمين بن تاشفين كان محبا للعلماء معظما لمكانتهم يقول ابن أبي زرع" وكان أبي يوسف بن تاشفين محبا للفقهاء والعلماء والصلحاء مقربا لهم صادر عن رأيهم متكرما لهم "[3].

ولم يكن التكريم والترحيب قاصرا على علماء المغرب الأقصى وفقهائهم بل رحب بكل العلماء وخاصة علماء الأندلس الذين سارعوا إلى عاصمة المرابطية ليكونوا في ظل ورعاية أمير المسلمين يوسف بن تاشفين من الجزيرة من أهل كل علم فحوله حتى غدت حضرته حضرة

[1] - حسن احمد محمود، **قيام دولة المرابطين**، دار الفكر العربي القاهرة, د ت , د ط. ص 95.

[2] - ابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، دار الرشاد الحديثة للنشر، الدار البيضاء، مجلد 2، ص 77.

[3] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، 85.

بني عباس في صدر دولتهم[1].واتبع نفس السياسة أمير المسلمين علي بن يوسف إذ كان محبا للعلماء والفقهاء مكرما لهم[2] .

يقول المراكشي " واشتد إيثاره لأهل الفقه والدين"[3] وكان يخرج بنفسه لزيارة العلماء وتكريمهم وذلك حين خرج لزيارة ابن يلارزج أحد علماء المالكية وكان عبدا صالحا مات بهسكورة سنة 540هـ / 1145 م[4]. وهذا التكريم والتقدير زاد الفقهاء والعلماء نفودا وسيطرة وأصبحوا يؤثرون في مجريات الأمور الدولة وظهر ذلك في عدة مجالات ففي المجال السياسي لعبو دورا هاما في استلاء المرابطين على الأندلس هم الذين أحبروا أمير المسلمين يوسف بن تاشفين بضرورة الاستلاء على الأندلس ويقول عبد الله " وجعلوا أي سكان الأندلس في شكاويهم الفقهاء وسائط يقصدون نحوهم ومنهم الفقيه ابن القلعي ولم يشرع يوسف بن تاشفين في تنفيذ خطة القضاء على ملوك الطوائف إلا بعد مشاورته للفقهاء والعلماء ذلك[5]. وصار للفقهاء تدخل في كل شؤون الدولة يقول المراكشي " واشتد إيثار على بن يوسف لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء[6]. وهكذا أصبح الفقهاء طبقة موهوبة الجانب مسموعة الكلمة وكانت منزلتهم وما وصلوا إليه من سيطرة على مقاليد الأمور عاملا من

---

[1] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 100.

[2] - المراكشي، المصدر السابق، ص 225.

[3] - ابن الأثير، المصدر السابق، ص 143.

[4] - شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، بن محمد النويري، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتاب للنشر، ج2 . د ت , ص 82.

[5] - نفسه، ص 90.

[6] - ابراهيم حركات، المرجع السابق، ص 115.

العوامل التي دعت ابن تومرت لمهاجمتهم ومحاربة الجمود الفكري الذي كان يخيم عليهم ثم رماهم بكل النقائص وظل يحاربهم حتى سقطت دولتهم على أيدي الموحدين[1].

العلوم النقلية:

عاش المغرب الأقصى في ظل نهضة فكرية أظلته منذ قيام دولة المرابطين وهذا يرجع إلى ازدهار الحياة الدينية بما تضمنته من دعوة. في عهد المرابطين عم المذهب المالكي سائر أنحاء المغرب وكثر الاهتمام بالعلوم الدينية وخاصة الفقه كحاجة الناس إلى معرفة مختلف المسائل الدينية من عبارات ومعاملات وحاجة الحكام لإصدار الأحكام الشرعية بمختلف القضايا.

د/ علم القراءات:

عنى المسلمون بدراسة القواعد المحكمة بقراءة القرآن الكريم وما ينبغي لها من مد، وغنى ووقف، وما إلى ذلك اهتموا بتأليف الكتب وتلك الفروع وقد بلغ عدد الأساليب الرئيسية لتلاوة القرآن سبعة وهي المعروفة بالقراءات السبع[2]. نال علم القراءات عناية كبيرة من العلماء المشتغلين بعلوم القرآن الكريم في مختلف عصور التاريخ الإسلامي، وعدوه من أشرف العلوم الإسلامية وأشدها توثقا بكتاب الله. ولقد تصدر علم القراءات قائمة العلوم الشرعية فكثر

[1] - حركات .المرجع السابق، ص 136.

[2] - ابن خلدون المصدر السابق، ص 494.

التصنيف فيه وزاد الاهتمام به وتوسعت رقعة انتشاره في مختلف الأقطار التي دخلها الإسلام والتي أينعت فيها شجرة الثقافة الإسلامية[1].

و من أشهر العلماء :

- أبو عبد الله محمد بن الحسن ابن سعيد المقري(473 هـ، 547هـ/ 1050، 1152 م) ويعرف ابن غلام الفرس، يعتبر أمهر مجودي القرآن ومتفنني أدائه ومن جلة المحدثين وأهل الضبط مشاركا في علوم جمة كان الناس يرحلون إليه للسماع والقراءة عليه[2].ومن الكتب المهمة في القراءات كتاب " الأقناع" وهو من أجل كتب القراءات، وكتاب " الطرق المتداولة "[3]

* **محمد بن الحاج الرقاق** (ت 559 هـ / 1163 م) كان مقرءا مجودا متقدما في صنعة التجويد متحققا بالنحو باهرا فيه، لقي مشايخ جلة وقيد كثيرا وعنى بالعلم عناية تامة[4].

---

[1] - ابو العباس احمد بن خالد الناصري الشهير بالسلاوي ، **الاستقصاء في أخبار دول المغرب الأقصى**. تح جعفر الناصري، دار البيضاء، 1954م , ص 120.

[2] - ابن الآبار، المصدر السابق، ص 455، حيث يقول عنه اخر المقرئين المحدثين شرق الاندلس انتهت اليه الرياسة في معرفة القراءات و عليه الحظ الوافر من الحديث و حفظ اسماء رجاله

[3] - ابن فرحون، المصدر السابق، ص 42.

[4] - ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 194.

ب/ **التفسير**:

زاد الإقبال على قراءة القرآن الكريم باعتباره مصدر التشريع الأول في الدولة المرابطية، ومن هنا أقبل عليه العلماء بالدراسة والبحث، ومن العلماء أبو الحسن علي بن محمد الغرناطي المفسر نزيل مراكش وكان عالما زاهدا يجمع إليه الناس فيفسر لهم القرآن من أوله إلى آخره[1].

أبو بكر محمد بن علي المعافري السبتي عرف بابن الجوزي[2] وعبد الخليل بن موسى الأنصاري الأوسي ت 608 ومن التفاسير التي اعتنى بها المغاربة كتاب الوجيز لعبد الحق بن عطية المتوفي سنة 541 هـ/ 1146 م، وفي كتابه لخص التفاسير كلها وتحرى ما هو أقرب إلى الصحة[3].

ج/ **علم الحديث:**

الحديث الشريف نال درجة كبيرة بعد القرآن الكريم وهو المصدر الثاني الذي اعتمد عليه المرابطون في أحكامهم وكان موطأ الإمام مالك في الدولة المرابطية مدار الدراسات المتصلة بعلم الحديث وكتب التراجم والطبقات حافلة بعدد لا يحصى من الأسماء لعلماء الحديث[4] على

[1] - أبو يعقوب يوسف بن يحي التادلي، المعروف باسم الزيات، **التشوف إلى رجال التصوف**، تح أحمد المدني، منشورات جامعة محمد الخامس، الرباط، 1984، ص 226.

[2] - نفسه، ص 230.

[3] - ، كنون، **النبوغ المغربي**، الرباط، ص 77.

[4] - ابراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ**، ط 1، 1965، الدار البيضاء، ص 125.

رأس هؤلاء القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي يعد من أكبر الحفاظ ومن أئمة عصره في الحديث، بارعا في علم الأصول[1].

وعرف عن أبي بكر بريش بن محمد بن علي بريش العبيدي (ت 382 هـ/ 1186م) حافظا للحديث قالما يغيب عنه شيء من الصحيح البخاري لحفظه له إياه.

أما الإمام الرشاطي (أبو محمد عبد الله بن علي بن أحمد الرشاطي ت 542 هـ/ 1147 م) فداع صيته لعنايته بالحديث والرواة والتاريخ وهو صاحب كتاب " اقتباس الأنوار والتماس الأزهار في أنساب الصحابة ورواة الآثار"[2]. وليس أدل على الاهتمام بعلم الحديث وروايته من اهتمام عدد كبير من الأمراء المرابطون يحفظه وروايته فذكر أن أمير المسلمين علي بن يوسف استجار له عبد الله الحولاني جميع روايته لعلو اسناده[3].

ومن مؤلفات الحديث نذكر :

إكمال المعلم،

شرح صحيح للقاضي عياض له أيضا مشارف الأنوار في غريب الحديث والأثار[4].

[1] - ابن خلكان، المصدر السابق، ص 496.

[2] - المقري، المصدر السابق، ص 461.

[3] - ابن الآبار، المصدر السابق، ص 56،

[4] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 154.

وشرح مقدمة صحيح مسلم، وشرح الموطأ لابن القطان[1].

الفقه:

كان المرابطون على المذهب المالكي فانتصر فقهاء المذهب، ونشط التأليف في الفقه والرواية والحديث وظهر عديد من أئمة هذا الفقه يقول المراكشي عن الأمير علي بن يوسف " ولم يكن يقرب من أمير المسلمين ويحط عنده إلا من علم الفروع أغنى فروع مذهب مالك فنفقت في ذلك الزمان كتب المذهب " [2] ومن أئمة الفقه المالكي:

محمد بن أحمد بن ابراهيم بن جامع الأنصاري الجياني (ت 546هـ / 1151 م) فصنف في مسائل الحلقات تعليمية المشهورة بجامع القرويين يدرس الفقه إلى غاية 539 هـ[3]. ومن فقهاء المرابطين الفقيه أبو القاسم بن عذار وأخوه الفقيه سليمان بن عذار الجزولي، وكان قد توليا أمور المرابطين الدينية بعد وفاة عبد الله بن ياسين[4]. والفقيه عبد الحق بن عبد الرحمن بن سعيد الأزدي (582هـ، 1186 م) انتقل هو الآخر من إشبيلية أثناء الفتن ثم رحل

---

[1] - المراكشي، المصدر السابق، ص 254.

[2] - نفسه، ص 172.

* يبدوا لي أن الحركة الفقهية في الدولة المرابطية كانت تعيش نشاطا كبيرا حيث أن داعية المرابطين عبد الله بن ياسين كان مالكي المذهب ومن جاء بعده كانوا يتخذونه مصدرا لتشريعاتهم ومن هنا كان الفقه المالكي هو مناط الدراسة والبحث.

[3] - أبو عبد الله بن محمد بن عبد الملك المراكشي، **الذيل والتكملة**، السفر الأول والثاني، تح محمد بن شريفة، بيروت، ص 582.

[4] - المراكشي، المصدر السابق، ص 164.

إلى بجاية وألف كتاب الأحكام الكبرى والصغرى، وكتاب الرقائق والعاقبة والتلقين والمجمع بين الصحيحين[1].

وتربع على قمة علماء الفقه في عهد المرابطين القاضي أبو بكر بن العربي والذي وصفه تلميذه ابن بشكوال " بالإمام الحافظ المتبحر ختام علماء الأندلس آخر أئمتها وحفاظها"[2]. ومن الملاحظ أن جل من هؤلاء الفقهاء لم تقتصر تأليفهم على الفقه فنجد أنهم يؤلفون في الفقه والحديث والتفسير واللغة:

العلوم العقلية

أ- اللغة العربية و آدابها :

كانت الحياة الأدبية والعلمية الدعامة الثانية التي أمدت الحركة الفكرية بالكثير من المعارف والعلوم فقد لعبت اللغة العربية دورا هاما في سبيل نشر المعارف المتنوعة[3] .وقد صاحب انتشار اللغة العربية نموا للحركة الفكرية في البلاد ومازدا من انتشارها أفواج العلماء القادمين من خارج البلاد والذين أثروا الحياة الفكرية بدروسهم ومؤلفاتهم[4]. فكانت ثقافة ولاة الأمر تقوم على الروح الإسلامية وسيلتهم في ذلك اللغة العربية، كما أن المناهج الدراسية التي

[1] - ابن فرحون، المصدر السابق، ص 182.

[2] - المقري، المصدر السابق، ج 3، ص 180، 182.

[3] - الميلي، المرجع السابق، ص 124.

[4] - عبد العزيز سعد الله .المرجع السابق، ص 210.

* يظهر لي أن سبب انتشار اللغة يعود أيضا أنها كانت لغة المكتبات، واللغة الرسمية للبلاد في معاملاتها وشؤونها

وصفها ولاة الأمر في المؤسسات التعليمية والتي كانت تتخذ من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قاعدة ومنهاجا حتى كانت تدرس باللغة العربية مما وسع من انتشارها وهي لغة القرآن والدين[1]. كما نال علم اللغة عناية خاصة من الدارسين بالمغرب وقد دفعهم إلى ذلك أن اللسان الغالب عبر قرون سابقية هو لسان البربر واللهجات المحلية[2]. نشطت في هذا العصر المباحث اللغوية وكثرت المؤلفات فيها ومن أشهر علماء اللغة:

أبو عبد الله محمد بن هشام اللحمي السبتي المتوفي 557 هـ/ 1167 م، أبو القاسم السهيلي المالقي الذي نزل بمراكش وأقام بها[3].

النحو:

نال هو الآخر عناية باعتباره أداة تقويم اللسان وقد اهتم ولاة الأمر بإحضار المؤدبين لأبنائهم وتربيتهم على النطق الصحيح وفهم قواعد اللغة وظهر في هذه الفترة عدد من النحاة وألفو مجموعة الكتب وممن اشتهر في علم النحو أبو موسى الجزولي، عيسى بن عبد العزيز من مراكش ، توفي بها 610 هـ[4].

[1] - البيدق، المصدر السابق، ص 67.

[2] - ليفي بروفنسال، **رسائل الموحدية** .انشاء كتاب الدولة المؤمنية، الرباط، 1941،ص 210.

[3] - حركات .المرجع السابق.ص 50.

[4] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 17.

الحركة الأدبية:

اللغة و الأدب

ازدهر الأدب في هذه الفترة بنوعيه الشعر والنثر والنحو تلك الحركة التي نمت وترعرعت خلال العهد المرابطين وحضي الأدباء بالرقابة والعناية من ولاة الأمر[1].ولكن يبقى الأدب في عهد المرابطين لم يحقق نموا كبيرا بل سار في تقدمه ببطيء وذلك أن ولاة الأمر القادمين من الصحراء لم يكونوا يشجعون الحركة الأدبية التشجيع الكافي لكي تتقدم سريعا لاعتبار أن اهتمامهم كان الدين[2] . إلا أن هذا لم يمنع وجود كبار الكتاب والأدباء في البلاد المرابطي أمثل: عبد الله محمد بن أبي الحصال ابن عبدون وغيرهم وكم اشتغل بعضهم في ديوان الكتابة بالدولة المرابطية[3].

أما بالنسبة للشعراء فقد عاش خلال الفترة المرابطية الكثير من الشعراء، الأمير أبو بكر بن إبراهيم المسوفي المعروف بابن تافلويت صهر أمير المسلمين علي بن يوسف، كان أديبا رفيقا مقربا للأدباء ومكرما لهم [4]. ومن الذين مدحو علي بن يوسف الشاعر الكبير أبو عباس أحمد ابن عبد الله القيسي المعروف بالأعمى التطيلي[5] . وبجانب هؤلاء فقد حفل بلاط ولاة

---

[1] - ابن أبي زرع، المصدر السابق، ص 117.

[2] - المقري، المصدر السابق، ص 113

* ابن عبدون وابن أبي الخصال، من الكتاب الذين اشتغلوا في ديوان والكتابة عند الدولة المرابطين.

[3] - النويري، المصدر السابق، ج 3، ص 90.

[4] - المراكشي، المصدر السابق، 815.

[5] - النويري، المصدر السابق، ص 100، 101.

الأمر بالكثير منهم خاصة في المناسبات الهامة وممن اشتهر بالهجاء والتندر في هذا العصر الشاعر أبو بكر يحي بن سهل اليكي الذي هجا المرابطين[1]. لقد ازدهر الشعر والأدب في عصر الأمير علي بن يوسف ازدهارا عظيما شهد بذلك قصائد الشعراء المرابطين التي سجلت في ذاكرة التاريخ الخالدة[2]. ولجانب هؤلاء الشعراء كانت هناك شاعرات، ممن اشتهرن بالمشاركة والأدب وتذوق الشعر وانشاده من بين ولاة الأمراء في دولة المرابطية الأميرة تميمة بنت يوسف بن تاشفين وزينب بنت ابراهيم بن تاشفين بن تافلويث وأختها حواء[3].

العلوم الاجتماعية:

- التاريخ و الجغرافيا:

حفلت هذه الفترة بالكثير من المؤرخين وظهر عدد كبير من أعلام الرواية والكتابة التاريخية نذكر في مقدمتهم:

أبو زكريا بن يوسف الأنصاري الغرناطي المعروف بابن الصيرفي 757 هـ[4] ، كان من أعلام عصر علي بن يوسف في البلاغة والأدب والتاريخ. ألف كتاب سد الأنوار الجليلة في تاريخ الدولة المرابطية، " قصص الأنبياء وسياسة الرؤساء" وللأسف ما وصل إلينا إلا شذوذ

[1] - ابن خلدون المصدر السابق، 436

[2] - نفسه، ص 440.

[3] - محمد بن عبد المنعم الحميري، **الروض المعطار، في أخبار الأقطاب**، تحقيق ،احسان عباس، بيروت، 1975، ص 105.

[4] - من الملاحظ على ابن الصيرفي، ذاع صيته في الفترة، 757 هـ، هذه الفترة خارج عن الفترة المدروسة، ولكن هذا لا ينفي أن بن الصيرفي كانت له، كتابات من قبل وخاصة في الدولة المرابطية.

نقلها المتأخرون أمثال ابن الخطيب[1]. وهناك أيضا أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني ت 542 هـ صاحب كتاب " الذخيرة في محاس أهل الجزيرة" هذا الكتاب الذي يعد موسوعة أدبية تاريخية يتضمن تراث القرن الخامس هجري 1110 م، أبو القاسم حلاف بن عبد الملك ويعرف بابن بشكوال وكان من أعلام المؤرخين في عصر المرابطين ومن أشهر تأليفه: " الصلة"، " العوامض والمبهمات" في اثني عشر جزءا وكتاب المحاسبين والفضائل في معرفة العلماء الأفاضل[2]. أبو طالب عبد الجبار عبد الله بن أحمد بن أصبح له كتاب يسمى " عيون الأمانة ونواظر السياسة " كتب في غرناطة عن الأمير تاشفين بن علي[3]. أبو نصر الفتح بن محمد القيسي الأشبيلي المعروف بالفتح بن خاقان ومن تأليفه " كتاب قلائد العقيان في محاسن الأعيان"

وفي الجغرافيا نبغ عدد كبير من كبار جغرافي الأندلس والمعرب في عصر علي بن يوسف نذكر منهم الشريف أبو عبد الله محمد الإدريسي، صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق[4].

ومن جغرافي عصر علي بن يوسف أيضا عبد الله بن ابراهيم بن وزهر الحجازي صاحب كتاب المسهب في غرائز المغرب[1]. يضاف إلى ذلك كتاب المعجم المراكشي الذي يضمن معلومات

---

[1] - ابن خلكان، المصدر السابق، ص 167.

[2] - النويري، المصدر السابق، ص 95. 97.

[3] - رابح بونار، المرجع السابق، ص 68.

[4] - حسن علي حسن، **الحضارة الإسلامية المغرب والأندلس**، ط 1، مكتبة الخانجي، مصر 1980، ص 275.

تاريخية هامة وأدبية، ومعلومات جغرافية عن المغرب الأقصى والأندلس[2].

الفلسفة:

لم تزدهر الفلسفة في الدولة المرابطين باعتبار أن المجتمع بها كان مجتمع الفقهاء والعلماء الذين يلتزمون بأحكام الدين ومن هنا اتجهت الدراسات في معظمها وجهة دينية ، وان كان قد وجدو في هذا العصر من درس الفلسفة إلا أنه لم يطهرها كالوزير مالك بن وهيب وزير أمير على بن يوسف حيث وصفه ابن بشكوال بقوله" أحد رجال الكمال الاتسام بمعرفة العلوم على تفارعيها وأنواعها إلا أنه أظن الناس بها" [3]. وقد خدم أيضا في بلاد المرابطين الفيلسوف أبو بكر بن باجة وهو أندلسي الأصل[4].

علم الكلام:

اهتم المرابطون بأنهم حاربوا علم الكلام وطاردوا المشتغلين به ولم يسمحوا بدراسته، وكانوا يتهمون كل من يخوض في علم الكلام بالكفر [5]. ولكن من خلال التراجم المبعثرة في كتب الطبقات نجد عددا كبيرا من الذين اهتموا بهذا العلم وبرعوا فيه بل يبدو وأن هذا العلم

---

[1] - أحمد بن محمد بن أبي العافية، ابن القاضي المكناسي، **جذوة الاقتباس في ذكر من حل بمدينة فاس**، الرباط، 1973، ص 81.

[2] - ابن بشكوال، المصدر السابق، ص 587.

[3] - نفسه، ص 588.

[4] - المراكشي، المصدر السابق، ص 185.

[5] - أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب** ، بيروت، د ت ، ص 75.

* لم ينل علم الكلام عناية خلال الحكم المرابطي، باعتبار أن المرابطين، كانوا يتخذون طريق السلف منهجا ومسلكا، واعتبروه هرطقة وجدل يخرج عن الدين.

شغل الكثيرين في عهد الأمير علي بن يوسف[1] فكان أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المعروف بالمرادي هو أول من أدخل علوم الاعتقادات بالمغرب الأقصى[2].

كثر التأليف في علم الكلام حيث ظهرت تأليف مبسطة فألف الإمام أبو الحجاج يوسف بن موسى الضرير520هـ/ 1126 م، أرجوزة طويلة في علم الكلام وكانت تلقى في مجالس القراء. اشتهر أبو ألعباس أحمد بن عبد الرحمن السرقسطي (ت 569هـ/ 1137 م) بأنه كان متقدما في علم الكلام وكتب في دواوين العالم مالا يحصى وأخذ عنه الكبير والصغير.ومن الذين برعوا في علم الكلام أبو بكر بن منجل[3]. أحمد بن مضاء[4]. 513، 529 هـ/ 1119 م، 1195م،وابى العباس الحروى الوادي ت(562ه 1166م) وابى عبد الله بن الحاج ت 540 هـ، 1145 م[5] وبهذا أخذ علم الكلام حظه الكامل من الانتشار في عهد الموحدين إذا كان المهدي بن تومرت يلزم أصحابه بدراسته الزاما.

[1] - حسن علي حسن، المرجع السابق، ص 486.

[2] - السيوطي، المصدر السابق، ص123.

[3] - نفسه، ص 130.

[4] - ابن فرحون، مصدر سابق، ص 49.

[5] - ابن الآبار، المصدر السابق، ص 176.

العلوم العقلية

أ) الطب:

تقدمت العلوم الطبية والصيدلانية في عصر المرابطين تقدما ملحوظا أشهر من نبغ في ميدان الطب والعلوم الطبيعية والكيميائية وعميدها الأكبر أبو مروان عبد الملك وورثة ابنه أبو مروان الذي احتل مكانة عظيمة في دولة المرابطين وأيضا ابنه أبو مروان الذي صنف للأمير أبيه اسحاق ابراهيم بن يوسف بن تاشفين كتاب " التيسير في المداوة و التدبير"[1]. ومن الأطباء الذين برعوا في عصر علي يوسف:

أبو عامر محمد بن أحمد بن عامر البلي وله في الطب كتاب سماه" الشفا" وأبو الحسن علي بن عبيد الرحمن بن سعد السعدي وغيرهم[2].ومما يؤكد اهتمام الدولة بالطب وجود منصب يعرف برئيس الصناعية الطيبة وهو منصب هام أنداك[3].

ب- الرياضيات و الهندسة:

عرفت هذه الفترة ازدهارا في العلوم الرياضية فنجد عدة أسماء مشهورين على رأسها: أبو عبد الله الأمين[4]. حيث استدعى من طرف أمير المسلمين علي بن يوسف ووكل إليه

[1] - السيوطي، المصدر السابق، ص 323.

[2] - مجهول، **الحلل الموشية** . المصدر السابق، ص 155.

[3] - نفسه، ص 157.

[4] - ابن الآبار، المصدر السابق، ص 162.

حسابات جميع المغرب وسلمه كل مقاليد الأعمال ويقول عنه صاحب الذخيرة " أكثر ماعول على علم الحساب فهو اليوم فيه أية لا يقاس عليها وغاية لا يضاف اليها وله في الأدب خط وافر"[1]. كما يعد يعيش المالقي من ألمع وأشهر المهندسين الذين تألق نجمهم خاصة أواخر المرابطين[2]

التصوف:

عاش مجتمع المغرب الأقصى خلال القرنين 5 و 6 من الهجرة الكثير من الصالحين، هؤلاء الذين اتخذوا التصوف منهجا لحياتهم وتجمع حولهم الأتباع والمريدون ينهلون من عملهم. كانت الملامح البارزة لهذا التصوف الزهد والإكثار من العبادة والأفكار، فلم يكن تصوفا فلسفيا[3]. امتازت هذه الفترة بوجود بعض أقطاب التصوف في المغرب كأبي يعزى وابن عريف وعلي بن حرزهم، وأبي مدين وغيرهم من المتصوفين الذين أصبحوا أعلام يقتدي بهم الأتباع والموردون ويتخذون من تعاليمهم المبادئ وعليها تأسست تلك الطرق الصوفية التي صارت لها فيما بعد تأثير في الحياة السياسية بالمغرب فضلا عن الحياة الروحية[4]. فقد تركو بصمة على صفحة الحياة المغربية حيث التقى الكثير من أبناء المجتمع حولهم يعلمونهم وينزلونهم منزلة التقديس والتكريم وأصبحوا هم ملجأ والملاذ حيث تنزل بالناس أزمة أو شدة

[1] - أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني، **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة**، تح احسان عباس، بيروت، 1978، ص 222.

[2] - ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 155.

[3] - بونار، المرجع السابق، ص 335.

[4] - البيدق، المصدر السابق، ص 73.

وبجانب مكانتهم في النفوس طبقات الشعب المختلفة فإنهم حضوا بالمنزلة الرفيعة لدى ولاة الأمر حيث تقربوا اليهم كسبا لودهم في نفس الوقت تقريبا للشعب الملتف حولهم[1].

فالأمير مزدلي بن تلكان المرابطي ولي تلمسان توجه إلى دار أبي محمد عبد السلام المتصوف ليتبرك به[2].

إلا أن هذه المكانة التي يتمتعوا بها أثارت غضب بعض الفقهاء ومن ثم حاولوا النيل والإيقاع بهم عند ولاة الأمر كان أبو عبد الله بن عم الأصم هو متصوف سجلماسة فقد ألصقت به عدة تهم فأمر أمير المسلمين تاشفين بن علي سجنه في فاس ثم ظهر لأمير المسلمين براءته فأفرج عنه[3].

[1] - المراكشي، المصدر السابق، ص 286.

[2] - نفسه، ص 278.

[3] - اشارة إلى أن أزهى عصور التصوف، عرفت في العهد المرابطي ومن بعده الموحدي، ومنهما انتقل التصوف إلى بلاد السودان الغربي.

أهم الفنون:

الفن المعماري المرابطي:

إن دولة المرابطين تركت آثارا معمارية بارز ظلت باقية على مر الدهور حيث ازدهرت الناحية المعمارية لهذا العصر وتجلت خصوصا في استحداث المدن[1].

وتوسيع القديم منها وتشيد الأسوار وبناء القصور[2]، والمساجد [3]. والحمامات والقصور وإقامة الجسور[4]. ومن هذه الآثار

جامع القرويين

من أهم المساجد الجامعة في بلاد المغرب وأكثرها شهرة لكونه جامعة اسلامية ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ وكما كانت هذه الجامعة تضاهي الأزهر الشريف في العلم وتخريج الدعاة والعلماء والفقهاء ولقد مر جامع القرويين بثلاثة أدوار الأول عند تأسيسه 254 هـ/ 859 م، والثاني عند الزيادة فيه سنة 345 هـ، 956 م، والثالث عندما زيدت مساحته في

[1] - في عهد المرابطين اسست مدينة مراكش، العاصمة ومدينة تنبكت، فى السودان الغربي، ومدينة تاقررت، يفرن من تلمسان بالمغرب الأوسط وبالإضافة إلى مدينة القصر، المقري، المصدر السابق، ص 189.

[2] - البيدق، المصدر السابق، ص 206.

[3] - تميزت مساجد المرابطين، بأنها فسيحة ضخمة البناء، ذات رحبات متسعة ومكشوفة،

[4] - عرف المرابطون، البناء بالطين و الحجر معا، وتسمت قصورهم بالبساطة، بها حدائق ومحاطة بأعمدة ممشوقة، أما سقف هذه القصور تتكون من رقائق خشبية، مدهونة بألوان متعددة.

عصر علي بن يوسف سنة 530 هـ، 1135 م، وتولى مشروع زيادة مسجد القرويين[1]. ولقد تخرجت في جامع القرويين على مر العصور أفواج عديدة من فقهاء الأمة وعلماء الملة ودعاة الشريعة والمجاهدين الأبرار والقادة العظام، وكان لمسجد القرويين عند المرابطين مكانة عظيمة في نفوسهم وتذكر كتب التاريخ أن منبر جامع القرويين من أجمل منابر الإسلام وتدل على روعة المغاربة في اختياراتهم الذوقية الرفيعة[2].

المسجد الجامع بتلمسان:

كان مقرا لنشر العلوم الإسلامية وتربية المسلمين على معاني القرآن وتم بناءه عام 530 هـ، في إمارة على يد ابن يوسف وكانت هندسته معمارية في غاية الجمال ودقة الإتقان[3]. وفي رأي بعض مؤرخين أن البنية المعمارية لمسجد تلمسان فيها لمسات أندلسية وفنون معمارية قرطبيه[4]. والذي يظهر أن دولة المرابطين انصهرت في بوتقتها بحضارة المغاربة والأندلسيين والأفارقة وتأثير تلك المعالم الحضارية المعمارية في جميع مدن الدول ومن أروع أثر المرابطين قبة البرودين بمراكش[5]. وترجع إلى عصر علي بن يوسف وتقع في وسط المدينة وكانت تؤلف جزءا من ملحقات جامعة علي بن يوسف وهي من أروع القبات المرابطين

---

[1] - محمد حسن العيد روس، **المغرب العربي في العصر الإسلامي**، ط 1، دار الكتاب الحديث للنشر القاهرة، 2009 م، ص 506- 507.

[2] - نفسه. ص 515.

[3] - محمد زروق، **دراسات في تاريخ المغرب**، ط 1، 1991، دار البيضاء، ص 149.

[4] - نفسه، ص ؤ150.

[5] - موسى لقبال، **المغرب الاسلامي**، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981. ص 189.

الباقية وتقوم في أركان الثمن الذي يقوم عليه عنق القبة حوفات تكسوها زخارف خصبة رائعة[1].

اثار القلاع والأسوار:

اهتم المرابطون بالحصون والقلاع لذلك انتشرت في المدن الثغور[2]. وزاد الاهتمام بالتحصينات العسكرية في زمن علي بن يوسف، الذي أكثر من الأسوار والقلاع والحصون للدفاع عن دولته في المغرب ضد الحركات السياسية والثورات العدائية المناهضة لدولة المرابطين[3] ويذكر حسن العيد روس نقلا عن البيذق أن المرابطين أقاموا حصونهم في مواضع دارت بها الجبال من جميع الجهات لكي ينتصروا بها على الموحدين[4] ومن أروع آثار المرابطين الحضارية الحركية أسوار مراكش حيث بدأ الأمير علي في بناء سور المدينة عام 520 هـ، وكمل بناءه 522هـ [5] فقد بنى المرابطون في مناطق الوعرة حصونا كالحجر وشحنوها بجنود والقوات لكي تصمد من الحصار مدة طويلة[6]. ومن أشهر قلاع المرابطين في

[1] - مراكش، بالفتح تم التشديد وضم الكاف، مدينة عظيمة في المغرب الأقصى تقع في سفح جبل الأطلس الكبير، ويمر في شمالها نهر تانسيفث، وتمتاز بخصوبة تربتها الحمراء، وجودة مناخها، وبمناظرها الخلابة، بالبربرية، معناها" أسرع في مشيك" ، مجهول .المصدر السابق، ص 200.

[2] - رابح بونار، مرجع سابق، ص 65،.

[3] - بونار، المرجع السابق، ص 90 – 92.

[4] - العيدروس ، المرجع السابق، ص 166.

[5] - حركات المرجع السابق، ص 180.

[6] - نفسه ، ص 155.

المغرب قلعة تاسغيموت التي تقع على بعد ثلاثة كيلومترات جنوب شرق مراكش، بناها ميمون بن ياسين والغرض من بنائها هو حماية عاصمة المرابطين[1].

[1] - كانت تقيم بهذه القلعة حامية مرابطية، من مائتي، فارس و خمسمائة من المشاة لحراسة بلاد هزرجة، البيدق، ص 128.

الفصل الثالث

العلاقات التاريخية بين الحمادين والمرابطين

عندما بدأ المرابطون يظهرون على مسرح الأحداث بعد خروجهم من الصحراء كان المغرب الأوسط يتعرض في غزو كبير يتمثل في القبائل العربية، وكان الحماديون في موقف لا يحسدون عليه، فإن المرابطون كانوا بالنسبة للحمادين يحتلون مكانة العدو الأول وبذلك بقى الاستلاء على المغرب الأوسط يمثل عاملا من عوامل أمن الدولة المرابطية[1].

لقد كان للمرابطين أكثر من حجة يتذرعون بها الانقضاض على المغرب الأوسط، فبعض البطون الزناتية[2].قد لجأت إليه لاسيما بعد الاستلاء الأخير على فاس، ويضاف إلى هذه الشخصية يوسف بن تاشفين القوية التي بقيت على مسرح الأحداث قرابة نصف قرن بكل ما تمثله شخصيته من رغبة في التوسع والتوحيد[3].

إن أهمية المغرب الأوسط تفوق أهمية غيره بالنسبة للمرابطين بحيث برزت مطامع المرابطين في أكثر من موقف نحو المغرب الأوسط ولكن في المقابل فقد حرص الأمير يوسف على علاقة حسن الجوار مع دولة بني حماد الصنهاجية التي تقع في شرق دولة المرابطين فتحالفوا مع عرب بني هلال[4]، وغزوا المغرب الأوسط وعادوا إلى بلادهم محملين بالغنائم، الأمر الذي دفع الأمير يوسف بن تاشفين إلى الإسراع بالعودة إلى المغرب مباشرة بعد انتصاره

[1] - أحمد محمود، المرجع السابق، ص 288.

[2] - زناتة من قبائل البتر البررية ويرجع النسابة أصلها إلى شانا أو جانا بن يحيى بن صولات بن ورماك، بن ضري بن زحيك بن مادغيسن بن بر وكانوا عدة فروع إضافة إلى بني عبد الواد منهم بن مرين. مغراوة ,توجين .بن يفرن. ابن حزم الأندلسي، **جمهرة أنساب العرب**، تحقيق عبد السلام محمد هرون، دار المعاف نصر 1962، ص 495.

[3] - سعدون عباس نصر الله، **دولة المرابطين في الأندلس، عهد يوسف بن تاشفين**، ط 1، دار النهضة العربية للنشر بيروت، ص 35

[4] - نفسه، ص 40.

في معركة الزلاقة[1]. تجنب يوسف بن تاشفين الدخول في الحرب معهم كونهم أقاربه ويشكلون حدا منيعا بينه وبين عرب هلال الذين يفوق خطرهم خطر بني حماد على استقرار دولة المرابطين[2] فأرسل يوسف رسالة (كتابا) إلى الأمير حماد يعاتبه فيه على استعانته بالهلاليين لغزو أراضيه في الوقت الذي كان يجب أن يتحدوا لمواجهة النصارى بالأندلس، فهي دلالة على الحرب الباردة القائمة بين الطرفين، ومع ذلك فان الحماديين لم يغلقوا أبواب التفاهم مع المرابطين بل صالحوهم واستمرت حالة السلم بين الطرفين أكثر من عشرة سنوات[3].

أما علاقة بني حماد بالمرابطين لم تكن علاقة ودية تماما وإنما كانت تتخللها بعض المناوشات والحروب الصغيرة نتيجة اصطدام الحماديين بسياسة المرابطين التوسعية[4]، فمن المعروف أن المرابطين بعد أن أقاموا دولتهم في المغرب الأقصى أثروا الانقضاض إلى المغرب الأوسط للقضاء على بقايا الزناتيين ليتوسعوا بعد ذلك إلى فتح السهول الشمالية باطمئنان[5]. ولذلك نشب الخلاف بينهما مرة ثانية عندما هاجم والي تلمسان المرابطين مملكة بني حماد دون إذن يوسف بن تاشفين فزحف الناصر بن علناس إلى تلمسان سنة 497 هـ/ 1103 م، فتراجعت جيوش المرابطين أمامه، إلا أن يوسف بن تاشفين طلب منه التوقف

[1] - بنوا هلال من عامر بن صعصعة، وكانوا أهل بلاد صعيد مصر، ثم دخلوا بلاد المغرب خلال 5 هـ/ 11م فيما عرف بتغريبه بنوا هلال، ابن خلدون، المصدر السابق . ص 27.
معركة الزلاقة، وقعت سنة، 479 هـ/ 1086 م، من المعارك الحاسمة في التاريخ الاسلامي، انتصر فيها المسلمون على النصارى، المراكشي، المصدر السابق، ص 99.
[2] - رابح بونار، المرجع السابق، ص 198.
[3] - ابن خلدون. المصدر السابق. 349.
[4] - ماليز روتوتفون، بمشاركة عظيم ناجي، **الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي**، ترجمة سامي كعكي، 2007، ص 273.
[5] - نفسه، ص 120.

وصالحه واسترضاه بعزل والي تلمسان وتوليه أمير آخر مكانه ويضم المرابطين الأندلس إلى دولتهم أصبحت دولة بني حماد ملاذا للفارين من الصراع[1].

لقد كان للتوجه السني في دولة الحمادين أثر في تخفيف الصراع مع المرابطين وبمصاهرة المنصور بن علناس مع المرابطين تحسنت العلاقات بينهما وكما أن لصلة القرابة الصنهاجية سبب آخر وإلا ما كانت تستطيع دولة الحماديين أن تقاوم جيوش المرابطين الفتية[2].

لقد تحكمت في علاقة المرابطين بالحمادين المصالح وظروف الامتداد المرابطي كما خفت صوت العصبة القبلية في هذه العلاقات بدليل الحروب التي وقعت بينهما[3]، فكانت سياسة المرابطين اتجاه الحمادين متميزة بفهم عميق للتوسيع المرابطي، وبالتالي بحذر منه ووقوف ضده فبعد وفاة يوسف بن تاشفين وجدوا أن الحماديين لم يعودوا خطر كبير عليهم فبذلك تحسنت علاقتهم إذ لم يعد هناك ما يثير الخلاف، فضلا عن شعورهم المشترك لخطر الانبعاث الموحدي الذي بدأ يظهر مع مطلع القرن 6 هـ[4].

[1] - الكعاك، المرجع السابق، ص 112.
* فالحماديون كانوا في قمة ازدهارهم في النصف الثاني من القرن الخامس للهجري، وطيلة الربع من القرن السادس هجري، ولم يقضي عليهم ورغم المضايقات الهلالية غير أنها لم تستطع القضاء عليها نهائيا.
[2] - ابن الأثير. **الكامل في التاريخ**، ج 8، ص 156.
* في نظري أن بقاء دولة الحماديين كانت من الأسباب التي أضعفت الدولة الزيرية وسببت توتر وارتباكا لدولة المرابطين، ولو ضمت الدولة المرابطين لكان أفيد للإسلام والمسلمين وللمغرب الأوسط والأقصى
[3] - سعدون عباس، المرجع السابق، ص66.
[4] - ابن عبد الحكم، **فتوح مصر والمغرب**، تحقيق عبد المنعم عامر، الذخائر للنشر القاهرة، د ت، ص 312. .

الهجرات العلمية و الثقافية:

بالرغم من الظروف السياسية التي يشهدها المغرب الإسلامي خلال القرنين الخامس حتى السابع للهجري والتي تمثلت في الصراع الذي كان محتدما خاصة بين المسلمين والمسلمين بسبب حكم الدويلات كذلك بين المسلمين والنصارى إلا أن هذا لم يمنع من التواصل الثقافي والعلمي بين المغربين خلال الفترة بل كانت هذه الظروف أحد العوامل الرئيسة التي شجعت الحركة الثقافية والعلمية خلال القرنين الخامس والسادس هــجري في بلاد المغرب، وساهمت بالتالي في تمتين أواصر التبادل الثقافي بين علماء المغرب الأوسط ونظرائهم في المغرب الأقصى حيث تميزت هذه الفترة في تاريخ بلاد المغرب الإسلامي بكثرة الرحلات العلمية والتي ستكون أحد العوامل الهامة التي طبعت الحياة الثقافية والعلمية في بلاد المغرب.

أ- الرحلة بين المغرب الأوسط والأقصى:

كانت بالمغرب أبواب مفتوحة لمن كان يريد التجوال فيها وشد الرحال إليها طالبا للعلم، أو حاجا، أو تاجرا أو سائحا[1].وكثر عدد المرتحلين بين المغرب الأوسط والمغرب الأقصى باختلاف أهدافهم من الرحلة وساعدهم على ذلك عدة عوامل ودوافع ولعل أهمها:

حرص الحكام على جلب الناس للسياحة والتجارة والعلم إلى بلادهم وكذلك كانوا يخصون الوافدين إليهم بالعناية[2]، فبنو لهم المرافق وأحسنوا استقبالهم واكرمهم وتوفر الظروف المناسبة

[1] - أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد القلقشندي، **صبح الأعشى في صناعة الإنشا**، دار الكتاب المصري، القاهرة، بيروت 1990، ص 106.
[2] - أبو الحسن بن حبير، **رحلة ابن جبير**، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1987، ص، 258 259 .

لطلبة العلم والحجيج الذين كانوا يقصدون المراكز الثقافية المختلفة (مراكش، بجاية، القيروان) من حيث الازدهار الثقافي الذي شهده المغرب وشيوع ذكر علمائها في الأقطار مما حفز المغاربة أكثرهم للتوجه إليها للأخذ عن العلماء والتعرف على مناهجهم وعلومهم[1].

رحلة الحج ودورها الثقافي:

يعد الحج من أركان الإسلام وكان المسلمين من مغاربة ومشارقة حريصين كل الحرص على أداء مناسكه رغم مشاقه ومصاعبه وبعد المسافة بين المغرب والمشرق أين توجد البقاع المقدسة بالحجاز مقصد المسلمين في العالم[2]. مما يعطي حرص الناس عليه وتميل نفوسهم إليه .وكان للطلبة والعلماء هدفهم من رحلة الحج أبعد من الحج نفسه حيث توفر لهم بعد قضاء المناسك والسياحة في الحجاز لقاء العلماء والاختلاط بهم وتبادل المعارف معهم والأخذ عنهم والاستفادة من علومهم[3] ، كانت قافلة الحج عند مرورها بالمغرب الأقصى ذهابا وإيابا توفر للعلماء والطلاب من المغرب الأوسط فرصة الالتقاء بالمشايخ والفقهاء وأعيان العلماء المغرب الأقصى ممن ذاع صيتهم في المشرق والمغرب الأوسط ويتم بينهم التبادل الثقافي والعلمي[4].

وكما كان لطلبة المغرب الأوسط يأخذون العلم من علماء المغرب الأقصى في إطار تبادل ثقافي ميزه وجود عدة علماء وطلبة من عديد أقطار إسلامية في مكان واحد مما يسهل عملية

[1] - ابن خلدون المصدر السابق، ص 778.
[2] - ابو الحسن، علي بن محمد القرشي القلصادي، **رحلة القلصاديين تمهيد الطالب ومنتهى الراغب إلى أعلى المنازل والمناقب**، تحقيق محمد أبو الأجفان، شركة التونسية للتوزيع، تونس 1978، ص 124.
[3] - نفسه، ص 130.
[4] - أبو عبد الله محمد التلمساني ابن مرزوق الخطيب، **المسند الصحيح الحسن، في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق ماريا خيسوس، بغيرا الشركة الوطنية للتنشر 1981، ص 135، 137.

الاتصال والأخذ والعطاء العلمي والثقافي واطلاع كل شخصية على المستجدات العلمية الحاصلة في بقاع العالم الإسلامي[1].وبذلك كانت رحلة الحج توفر فرصة ثمينة تمتزج فيها أفكار علماء المغرب والمشرق، ويتم من خلالها تعرف العلماء على بعضهم البعض شخصيا بعدما كانوا يتعارفوا عن طريق المرسلات والمؤلفات فيعرف كل عالم قدره ومكانته عند الآخرين ومدى توافق أفكاره وأراءه مع أفكار وأراء أقرانه من علماء الأقطار الإسلامية ويحصل المزيد من العلم بالتقاء كبار علماء ومكة والمدينة المنورة ولا تكاد تخلو ترجمة العالم من المغرب الأوسط من وجود شيوخ له أخذ عنهم بمكة والمدينة أو أخذو عنه، وكان ذلك من فضائل وخصال رحلة الحج في مجال الثقافي[2].

الرحلة في طلب العلم:

لقد كانت الرحلة في طلب العلم أمرا شائعا في البلاد الإسلامية خاصة في بلاد المغرب الإسلامي وقد عرفت في طلب العلم رواجا واسعا خلال القرن السابع هجري الثالث عشر ميلادي[3].فقد اعتبر عبد الرحمن بن خلدون الرحلة في طلب العلم من الأمور التي على الطالب العلم الاعتناء بها من أجل إتمام معارفه وتقويتها والتحكم أكثر في العلوم وقد علل ذلك بأن البشر يأخذون معارفهم إما علما أو تعليما و إلقاءا وإما محاكاة وتلقينا وأن الاكثار من الشيوخ يعد أفضل للطالب من أجل تمييز اصطلاحات العلوم و وتصحيح المعارف زيادة على أخذ العلم

[1] - العيد روس، المرجع السابق، ص 233.
[2] - لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 250.
[3] - الجيلالي المرجع السابق، ص 50.

من منابعه[1] كان طلاب المغرب الأوسط لا يكتفون ما يحصلون في مدنهم من المعارف والعلوم، بل كانوا يشدون الرحلة إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي مشرقا ومغربا من أجل الاستزادة من العلوم والتعمق فيها[2].

* وكانت لهذه الرحلة أو الهجرات العلمية مجموعة من فوائد.

* لقاء المشايخ والعلماء والاحتكاك بهم والأخذ عنهم.

* أخذ العلم عن طريق الرواية بدلا من أخذه عن طريق الكتب والمصنفات وذلك حسب ما أورده الأبلي وهو أستاذ ابن خلدون[3].

* التعرف على منهج التعليم والمستجدات الطارئة على التخصصات العلمية المختلفة.

* التعرف على البلدان والشعوب وثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم وامكانية التبادل الثقافي بين المجتمعات الإسلامية[4].

* أخذ الإجازات من عدة شيوخ في عدة تخصصات علمية ما يدعم المصداقية العلمية للطالب يؤهله توالي الوظائف المختلفة.

[1] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 1044
[2] - لخضر عبد الي، المرجع السابق، ص 99.
[3] - عبد العزيز الفيلالي، المرجع السابق ج 2، ص 327.
[4] - ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص 217.

و كان للأستاذ دور كبير في دفع الطالبة إلى الارتحال لطلب العلم كما كان التوجه إلى مختلف أقطار العالم الإسلامي نابغا من الرغبة في العلم وكذلك لما كان يتوفر من عناصر الجذب وعناية

الحكام بالطلبة والعلماء الوافدين عليهم[1].

دور الأمراء والولاة في تشجيع الحركة العلمية:

عاشت دولة المرابطين نهضة فكرية مزدهرة، ازدهرت فيها علوم الأدب واللغة والعلوم والطب، ووفد طلاب العلم على هذه الدولة من كل مكان وقد ساعد على ذلك تشجيع الأمراء والولاة للعلماء وطالبي العلم فقصد العلماء العاصمة مراكش[2]. * لم يحفل المرابطون بالعلماء والأدباء والفلاسفة والكتاب فحسب بل استقدموا الفنانين والصناع من الأندلس[3]. وكان المرابطون يجالسون العلماء والأدباء والفقهاء بصفة خاصة حيث يشاورونهم في أمور الدنيا ومشاكل الحكم ولا يبرمون أمرا إلى على اعتبارات شرعية[4].

ومن أمثله على ذلك حيث ضاقت رحاب القرويين بمن يؤمها من الطلاب ورجال العلم حتى إذا كان أوائل القرن السادس للهجرة اجتمع العلماء وقرورا أن يكلف القاضي عبد الحق بن معيشة بإصلاح القرويين وقد شجعه علي بن يوسف المرابطي على هذا الإصلاح[5].والمعروف عن

[1] - عبد لي ، المرجع السابق، ص 245.
[2] - العيد روس ، المرجع السابق، ص 532.
[3] - نفسه، ص 534.
[4] - ابراهيم القادري بوتشيش، **الإسلام السري في المغرب العربي**، ط 1، مؤسسة سينا للنشر، 1995، ص 129.
[5] - نفسه، ص 135.

الأمراء الميل إلى الفقهاء وتقريبهم للزهاد ارتقى في بلاط علي يوسف أكبر الأطباء في الجناح الغربي الإسلام عبد الملك بن زهد الذي كتب للمرابطين وكما ظهر في ميدان العلوم الرياضية أبو بكر محمد بن يحي بن الضائع المعروف بأبن باجة[1].

ولقد أدى هذا التشجيع للحركة العلمية أن توفرت البلاد على عدد كبير من المدارس وتقدمت حركة التأليف والتدريس تقدما مدهشا رفع المغاربة إلى مصاف رجال الفكر في العالم الإسلامي[2].

ومن المعروف أن يوسف بن تاشفين المرابطي أسس بفاس مدرسة "الصابرين " المسماة من بعد بمدرسة "بومدين" وكان تأسيسها في أوائل القرن 5 ه[3].

وكما يعود الفضل في النهضة العلمية التي عرفتها مراكش إلى أمراء الدولة المرابطين الذين شجعوا العلم والعلماء أمثال يوسف بن تاشفين الذي عرف بتدينه وإكرامه للفقهاء وإنزالهم منزلة خاصة[4]. وكما سعى إلى إدخال الحضارة الأندلسية إلى المغرب ومزجها معا خاصة بعدما سيطر على الأندلس ووحد الطوائف[5] . فجلب الكثير من العلماء الأندلسيين إلى مراكش واستقر بها فأصبحت ذات شهرة علمية واسعة وعرفت ازدهارا كبيرا وتقدما ملموسا في اختلاف العلوم

[1] - ابن الفرضي، **تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق ابراهيم الأبياري، ج 3، دار الكتاب مصر للنشر، القاهرة، د ت، ص 286.
[2] - أغلب المدارس التي توفرت عليها البلاد آنذاك كانت ملحقة بالمساجد، لإيواء الطلبة وتحتوي على مرافق، للسكنى، والدراسة والمطالعة، بالإضافة إلى أعطيات للتشجيع على طلب العلم، بوتشيش، مرجع السابق، ص 133.
[3] - محمد القبلي، **مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط**، دار توبقال، للنشر ، دار البيضاء المغرب، 1987، ص82.
[4] - عنان، المرجع السابق، ص 438.
[5] - نفسه، ص 454.

فعرفت ازدهارا كبيرا وتقدما ملموسا في مختلف العلوم فكانت ملتقى الفقهاء والعلماء على مختلف جهات المغرب والأندلس والقيروان[1].

أما الفضل في نهضة مراكش العلمية اعتبارها المركز العلمي الثاني بالمغرب يعود إلى اهتمام يوسف بن تاشفين رحمه الله بالعلم والعلماء خصوصا[2].

فقيام الدولة المرابطية كان أساس نتيجة تفكير وتخطيط العلماء الذين أرادوا لهذه الدولة أن تقوم على تمسك بالإسلام ومنهجه وساعية لاستصلاح الخلق بإرشادهم إلى الطريق المنحى[3] وقد أسدى العلماء بتكوينهم لهذه الدولة خدمة جليلة إلى الأمة الاسلامية إذا لمت شمل الشعوب اسلامية كثيرة وأسهمت في الجهاد لأعلاء كلمة الله[4]. فمنذ نشأة الدولة عمل أمراءه على نشر المذهب المالكي بهدف توحيد المغرب ضمن وحدة مذهبية ثابتة لاسيما وأنه أول دعائم الدولة فازدهرت الحركة الفقهية في المغرب على مذهب مالك بن أنس فكانت تعقد الكثير من المجالس والمناظرات لمناقشة كل الأمور العقائدية الغامضة والتي تستوجب الفصل والتحليل[5].

إن أمراء المرابطين أقبلوا على الثقافة كما أقبل عليها عامة الملثمين ولعل الذين اتهموا المرابطين بالجمود والتعصب وإعطاء السلطة التامة للفقهاء مخطئين ودليل ذلك أن المرابطين

[1] - ابن مريم المديونى .المصدر السابق، ص 206.
[2] - ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 515.
[3] - أحمد محمود، المرجع السابق، ص 92.
[4] - أسامة حسن، **رجال لهم تاريخ**، دار الأمل للنشر، ط 1، 1998، ص ر23.
[5] - نجم الدين الهنتاتي، **المذهب المالكي بالغرب الإسلامي**، تبر الزمان للنشر، تونس 2004، ص 210.

شغلتهم الأولى في أول أمرهم فكرة الجهاد ولكن لم يلبثوا أن شجعوا الأدب والعلوم بعد استقرار النظام واستباب الأمن[1].

دور الأمراء في تشجيع الحركة العلمية (الحماديين)

إن المتصفح لتاريخ المغرب الأوسط في العهد الحمادي يجده من أزهى العصور ثقافيا وحضاريا لاسيما في عاصمة دولة بجاية نتيجة استقطابها للكثير من رجالات الفكر والأدب والثقافة[2]

بالإضافة إلى سياسة التسامح الديني[3] التي اتبعها ملوك الدولة الحمادية مما أتاح للحركة الثقافية أن تنمو وتزدهر[4]. فقد شهدت بجاية حياة علمية زاخرة ويتجلى ذلك في المدارس والمعاهد العلمية والمساجد التي ذاع صيتها شرقا وغربا وغدت مقصد الفقهاء والمفتين والقضاة والكتاب يقصدها البعيد قبل القريب[5]. وإلى جانب المعاهد والمساجد كانت الزوايا والكتاتيب التي تقوم بدورها في تربية النشء وكانت حافلة بطلاب العلم ويعود الفضل في ذلك لعدة ظروف وأسباب اكتملت واجتمعت في أن واحد منها

[1] - علي الطنطاوي، موسوعة شرطيوة، **رجال من التاريخ**، ص 53.
[2] - العربي، المرجع السابق، ص 161.
[3] - تتضح سياسة التسامح الديني التي اتبعها الحمادين في استوطان الجالية المسيحية التى قدمت من الجمهوريات الإيطالية (الإسبان و البرتغال) ويظهر ذلك أن الحماديون سمحوا لهم ببناء دور للعبادة ككنيسة العذراء
[4] - -يبدوا لي أن هذا التسامح الديني ساهم بشكل أو أخر في إثراء الحياة الثقافية بالمدينة عن طريق تبادل وتفاعل الثقافات التي كانت كنتيجة لحرية الدينية والفكرية.
[5] - بوعزيز، المرجع السابق، ص 18.

- جهود الأمراء والولاة الذين لم يبخلوا بالمال العام لتوظيفه في بناء المنشآت والمؤسسات التعليمية وتزويدها بالمكتبات والمرافق اللازمة لإقامة الوافدين وطلاب العلم حيث نشأ الناصر بن علناس في بجاية معهد "التواتي" الذي كان يضم حوالي 3000 طالب وتدرس فيه كل المواد[1] والذي أدى إلى ازدهار الحياة التعليمية والثقافية وقد أعطى بجاية مكانة راقية حتى أطلق عليها لقب " "كعبة الشعراء"[2]بالإضافة إلى اجلال العلماء واستشارتهم وتقريبهم ومشورتهم في كل أمور الدين والدنيا حيث عمل حماد على توطيد دعائم الدولة بتقريبه لرجال الفكر والعلم والدولة من مجلسه[3]

التنافس بين الأمراء والحكام في بناء المعالم والمدارس والكتاتيب لتخليد ذكراهم، وكما كان لموقعها الجغرافي المميز الذي يتوسط الشمال والجنوب بين الغرب والشرق جعلها تستقطب أساطين الثقافة من الأندلس والمغرب الأقصى والمشرق وأروبا[4] أمثال ابن حمديس الصقلي، أبو الفضل النحوي وبالتالي برز الفقهاء والشعراء والمؤرخون والأطباء والرياضيون في بجاية وعلى هذا الأساس كانت الحياة الفكرية مزدهرة جدا من خلال كثرة علومها التي أبدع فيها الحماديون[5].

[1] - بن ذيب المرجع السابق، ص 80.
[2] - لقبت بهذا الاسم لأنها كانت مقصد الطلاب من مختلف المدن المغربية.
[3] - بونار، المرجع السابق، ص 262.263.
[4] - نفسه ، ص 266.
[5] - الغبريني، المصدر السابق، ص 38.

إن السياسيات الحكام والسلاطين تجاه العلم وأهله ومتشابهة في الغالب إذا يظهرون العناية بالثقافة والعلوم والفنون ما يطمحون به إلى جعل المدن الكبرى في دولهم خاصة عواصمها مدن حضارة لا تماثل وكانوا يتنافسون ويتباهون لذلك[1].

لقد عمل علماء المغرب الإسلامي عطاء ثريا حافلا بالعلوم ومعارف شتى كان لها إسهامها الكبير في تقدم الأمة الإسلامية وازدهارها على مدى قرون عديدة ونخص بالذكر المغرب الأوسط والأقصى لقد حمل شعلة هذا العطاء كوكبة من العلماء ومفكرين الدين كرسوا كل جهودهم للدراسة الجادة والبحث العميق في كل مجالات العلوم والفنون وكانت لهم إضافات باهرة وبصمات واضحة في مختلف التخصصات وأسهموا بذلك في دفع الحركة العلمية والنهضة الفكرية في كل الاتجاهات.

التلاقح الحضاري بين المغربين الأوسط والأقصى:

ظلت العلاقات الثقافية والتبادل العلمي بين المغربين الأوسط والأقصى[2] في نمو وتطور منذ الفتح الإسلامي وطيلة فترة العصور الوسطى، وكانت الحواضر الكبيرة الخاصة مراكش وبجاية وتلمسان، وكانت تستقبل الطلاب والعلماء والوافدين عليها وكانت مراكز الإشعاع تتوفر

[1] - عويس، المرجع السابق، ص 262.
[2] - التذكير فإن المغرب الأوسط، ظل وحدة سياسية من الفتح إلى غاية ظهور الدويلات المستقلة.

على عناصر الجذب الثقافي من حيث كونها مقر للحكم والسلطان وميدان الحركة العلمية والمؤسسات التعليمية[1].

وكانت رحلات وتنقلات العلماء بين مدن المغرب الأوسط والأقصى الاستفادة والمناظرة أو التدريس في المساجد والمدارس والزوايا أو لنسخ بعض الكتب والمؤلفات ذات رواج في العالم الإسلامي[2]. فأنتجت الرحلات العلمية كتبا كثيرة تدل على النشاط العلمي والثقافي للراحلين خاصة كتب الفهرسة التي اهتم بها المغاربة[3].

فكانت حركة العلماء متأثرة بالظروف السياسية والثقافية والاجتماعية لكل من المغرب الأوسط والأقصى لذلك يسجل تفاوتا في إحصاء أعداد العلماء المغاربة الذين ارتحلوا إلى المغرب الأوسط والأقصى عبر فترات تاريخ الدولة الحمادية و المرابطية[4] و كانوا من خلال هذه الرحلات ينسجون علاقات ثقافية وعلمية قوية من خلال الجلسات العلمية التي كانوا يتبادلون فيها الآراء في العلوم والمصنفات والمستجدات الخاصة بالمسائل الفقهية والعلمية المختلفة وكانت هذه الجلسات تتم داخل المؤسسات التعليمية (كالمساجد، والمدارس، والزوايا والرباطات)[5] وكان علماء المغرب عادة ما يعرض عليهم الوظائف العلمية كالتدريس بهذه المدارس وبذلك يستفيد منهم الطلبة[6] ولم يكن التدريس مقتصرا على المدارس التي كانت

[1] - رشيد الزواوي، **التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي**، مجلة الحضارة الإسلامية، العدد 1، أبريل، 1993، ص 325.
[2] - الزواوي. المرجع السابق ، ص 333.
[3] - نفسه، ص 337
[4] - عمار هلال، **علماء الجزائر في البلدان العربية والإسلامية بين القرنين 9 و 20 ميلادي**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص 252.
[5] - نفسه ، ص 255.
[6] - ابن خلدون المصدر السابق ، ص 335
كمل كان التدريس أفة بعض العلماء في عدم تركهم للكتابات لأن معظم أوقاتهم كانت ففي التدريس وهوما منعهم من التأليف .

مخصصة للمالكية فقط بل درس بعضهم في المدارس الشافعية وحتى الحنفية وذلك من أجل تبادل المعارف مع الفقهاء في جميع المذاهب وبدون تميز[1].

وفيما يلي عينة من بعض العلماء المغرب الأوسط من الذين قصدوا المغرب الأقصى ودرسوا بها وكذلك عينة من العلماء المغرب الأقصى ممن قصدوا المغرب الأوسط.

عبد الرحمن بن خلدون: (ت 808 ه/ 1406 م)

يعد عبد الرحمن بن خلدون من أبرز الشخصيات العلمية المغاربية التي قامت بدور كبير في ربط العلاقات والصلات الثقافية بين المشرق والمغرب، حيث كانت رحلاته المتعددة إلى الأندلس والمغرب الأقصى والأوسط، قد مكنته من تحديد معالم التفكير لدى المجتمعات الإسلامية في العالم الإسلامي[2]

وضع أسس المقارنة بينها ومدى اتصالها ويعد فكره امتداد لفكر أساتذته خاصة محمد بن إبراهيم الأبلى، وقد دون زبدة فكره في كتابه المقدمة بالمغرب الأوسط[3] ثم قام برحلة إلى الأقطار الإسلامية مشرقا ومغربا وتمكن من غرس أسس ومنهاج عدة علوم في عقول الطلبة

[1] - قاسم عبدة قاسم، **المقريزي**، مجلة العربي، العدد 566، يناير، 2006، ص 154.

[2] - سعيد محمد رعد، **دور بجاية الحمادية في تكوين نظرية ابن خلدون التاريخية العمرانية عن العمران البشرى وأثر ذلك في تاريخ الفكر الإسلامي**، ملتقى الثامن للفكر الإسلامي بجاية، 1974، ص 533.

*أبلا: مدينة السانية مقاطعة أبلا في قشتالة القديمة شهرة بأثار القرون الوسطى ولاسيما أسوارها، محمد بن يحيى القرآني، **توشيح الدباجة وخلية الابتهاج**، تح على عمر، ط 1، 2004، مكتبة الثقافة، الدينية القاهرة، ص 231.

[3] بالرغم من انه وليد الأقصى الا انه كتب جزءا من مقدمته بالمغرب الاوسط (قلعة بنى سلامة) بتيهرت .

أمثال المقريزي[1] فتم انتقال عدة نظريات عقلية من المغرب الأوسط إلى الأقصى عن طريق عبد الرحمن بن خلدون خاصة في مجال تفسير التاريخ وفلسفته[2]

الأبلي: (681- 757هـ / 1281 – 1356) م

هو أبو عبد الله محمد بن ابراهيم، عالم منطق رياضي ولد بتلمسان سنة 681 هـ/ 1282 م وأصل أسرته من" أبلة"* بالأندلس، نشأ وتعلم بتلمسان، اهتم منذ حادثة سنه بالعلوم العقلية حيث يكنى شيخ بلاد المغرب في العلوم العقلية وإمام وقته[3]ونال حظا وافرا من العلم في مدينة تلمسان التي نشأ بها أين أخذ العلم عن كبار مشيختها وعلمائها، فكانت له رحلة إلى بلاد المشرق أين التقى كثير من العلماء فازدادت استفادته وتنوعت معارفه[4]، زار الأبلي بلاد الشام والعراق وفاس واتصل بعلمائها ثم منه إلى المغرب الأقصى حيث نزل مدينة فاس عند الشيخ التعاليم خلوف المعيلى اليهودي. ومن بعد ذلك ارتحل إلى مدينة مراكش أين أخذ الحكمة والحساب على يد العلامة ابن البناء العددي وفي هذه الأثناء استهل الشيخ الأبلي نشاطه التعليمي[5]

حيث عاد إلى مدينة فاس ثم شرع في إعطاء الدروس للطلبة ونظرا لسمعته العلمية ونبوغه في التعاليم والحكمة فقد تحلق طلاب العلم حوله حيث كانوا يقصدونه من مختلف مدن البلاد

[1] - ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص 214.
[2] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 36 – 37.
[3] - نفسه، ص 235.
[4] - ابن مريم المديوني، المصدر السابق، ص 214.
[5] - ابن خلدون .المصدر السابق، ص 36- 37.

المغرب الأقصى أين اكتسب شهرة واسعة في الأوساط العلمية والثقافية فذاع صيته وبرزت موهبته العلمية وأصبح يحضى بمكانة مرموقة بين أقرانه من المشايخ والعلماء والطلبة وأطلق عليه في هذه الفترة اسم" عالم الدنيا"[1].وقد تتلمذ على يد الشيخ الأبلي كثيرا من طلبة العلم والشيوخ وكان أبرزهم ابن الصباغ المكناسى والشريف التلمساني و عبد الرحمن بن خلدون وأبو عثمان السعيد العقباني قال في حقه صاحب كتاب المسند ابن مرزوق أنه نفع الله به خلائقه في المغرب الأقصى وتونس وإفريقية وحصلت له مشيخة على الجميع[2]

*** أبو العباس الزواوي: (750 هـ/ 1349 م)**

أحمد بن محمد بن علي أبو العباس الزواوي محدث ومن فقهاء المذهب المالكي في بلاد المغرب، أطلق عليه اسم شيخ القراء بالمغرب أخذ العلم والعربية عن مشيخة فاس في علم القراءات[3]وكان لا يجار في ذلك وفي رحلته لطلب العلم إلى المغرب الأقصى قرأ على مقرئ فاس علي بن سليمان القرطبي ومالك بن المرخل وروي عن أبي جعفر بن الزبير وغيره ورى القراءات عنه أحمد بن مسعود بن الحاجة التونسي لقيه بقسنطينة سنة 747 هـ/ 1346 م[4] وكان الشيخ أبو العباس الزواوي من جملة من انتظم في المجلس العلمي للسلطان الحسن المريني، حيث كان يجالسه معه غيره من العلماء وقد ترك كثيرا من المصنفات في القراءات

[1] - ابن خلدون. المصدر السابق، ص 233.
[2] - ابن مرزوق . المصدر السابق، ص 266.
[3] - ابن مرزوق، المصدر السابق، ص 285.
[4] - ابن مريم .المصدر السابق، ص 321.

والعربية والتي انتفع بها خلق كثير من علماء وطلبة المغرب الأقصى[1]. وقال فيه ابن خلدون بأنه كان إمام في القراءات لا يجارى وله صوت من مزامير داوود[2]

أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الجزري التلمساني (584 -959هـ/ 1198-1255م)

هو أحد فقهاء المذهب المالكي في بلاد المغرب نشأ بمدينة تلمسان حيث تلقى تعليمه الأول ثم شد الرحال نحو المغرب الأقصى ونزل بمدينة سبته التي التقى بها بعدد كبير من الشيوخ والعلماء فأخذ عنهم الكثير[3] ثم إرتئ بعد ذلك السفر إلى مصر حيث نزل مدينة الإسكندرية والتي بقى فيه إلى أن توفي عن عمر يناهز الاثنين والسبعون سنة ومن أثاره ' شرح الجلاب"[4]

أبوا موسى عمران المشدالي (ت 745 هـ/ 1344 م)

من كبار فقهاء الدين أنجبتهم بلاد المغرب الأوسط في النصف الأول من القرن 8 هـ أصله زوارة بمدينة بجاية ارتحل إلى مدينة تلمسان عند السلطان أبي تاشفين (718 – 733 هـ/ 1318- 1337م)[5] ونظرا لمكانته العلمية البارزة احترف مهنة التدريس في تلمسان حيث درس الحديث والفقه والجدل وأخذ العلم ببجاية على يد الشيخ أبي ناصر الدين المشدالي وغيره وأخذ

[1] - عمران الشيخ وآخرون، **معجم مشاهير المغاربة**، المالكية للطباعة والنشر جامعة الجزائر، 1995، ص 267.
[2] - ابن خلدون، المصدر السابق، ص 450.
[3] - الفيلالي، المرجع السابق، ص 327.
[4] - البكري، المصدر السابق، ص 299
[5] - يحيى ابن خلدون. المصدر السابق. ص201

عنه الفقه أبوا العباس أحمد بن أحمد المشوش والفقيه أبوا عثمان العقباني وغيرهم ولم يكن ممن عاصره أحد مثله علما ومتفقها بمذهب مالك[1]

القاضي عياض (ت 544هـ)

هو محمد بن عياض بن موسى اليحصبي من أهل سبتة سمع من أبيه القاضي أبي الفضل وابن العربي فقد دخل الأندلس ورحل منها إلى المغرب الأوسط طالبا للعلم وأخذ من أئمته الشيوخ فزاد عددهم على المئة[2] فهذه الرحلة العلمية أثرها في تكوين ثقافته وتبحره في علوم اللغة والنحو والحديث الشريف والقرآن الكريم وفي وعرفته بأيام العرب وأنسابهم وكلامهم، فقد أهلته التولي المناصب المهمة التي لا يستلمها إلا من حصل ثقافة موسوعة وعلما جما توفي عام 544 هـ[3] فكانت تراجمه للعلماء في عهدها شهادة عيان وبالتالي ذات قيمة كبرى وخاصة كتابه " ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك " وهو موسوعة عظيمة الفائدة بسط فيها القول عن علماء المالكية ابتداء بالإمام مالك بن أنس إلى عصر المؤلف فجاءت مليئة باللمحات التاريخية والمباحث العلمية السياسية[4]

فكتب التراجم والتاريخ تعج بأسماء هؤلاء الأعلام الذين أنجبتهم أرض المغرب كانوا يصلون شرقا وغربا ويجوبون القيروان والزيتونة والأزهر والشام والحرمين طلبا ونشرا للعلم

[1] - يحي بن خلدون. المصدر السابق، ص 80.
[2] - ابن خلكان. المصدر السابق ، ص 677. 687.
[3] - نفسه، ص 121.
[4] - ابن خلكان .المصدر السابق، ص 485

وتحصيلا للمعارف حتى ألفت كتبا في الرحلات والنوازل والمرسلات[1]تؤرخ لسيرهم وتنقلاتهم وعطاءاتهم وشيوخهم وتلامذتهم ومناقبهم ومآثرهم[2]وإذا تعددت حظائر العلم كان ذلك مرتعا للتلاقح الفكري والنضج العقلي والانتاج العلمي كما هو الشأن بين مراكش وبجاية واتصالات ورحلات لطلب العلم والأخذ عن العلماء وجالسهم.

ومن العلماء القدامى الذين اهتموا بجمع أخبار أهل العلم من الشيوخ والأقران الشيخ الجليل

أبو العباس الغبريني:

ولد سنة 644هـ / 1315 م نشأ في طلب العلم مرتحلا بين بجاية وإفريقية في المغرب الأدنى الذي كان يشهد حركة علمية وثقافية خلال القرن 7 هـ/ 13 م، هو قاضي ومؤرخ ومشارك في العلوم العقلية والنقلية تنقل بين بلدان المغرب والأندلس وخاصة بين بجاية وتونس وأخذ كما قال العلوم الدراية والرواية عن شيوخها الذين بلغ عددهم نحو سبعين[3].

فقد أرخ لمجموعة كبيرة من العلماء والفقهاء والمتصوفة وذلك في كتابه " النفيس" عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء من المئة السابع وبجاية، ترجم لنخبة من مفكري مدينة بجاية تلك المدينة التي تميزت كمركز ثقافي علا صيتها بنشاط هؤلاء العلماء وانتاجهم الفكري ومساهمتهم في توجيه الحياة العقلية والروحية للمغرب الإسلامي[4].كما شهد بجاية موطن

[1] - الفيلالي، المرجع السابق، ص 157.
[2] - كنون، المرجع السابق، ص 150.
[3] - عمر بلبشير ،**ابو العباس الغبريني و كتابه** . مجلة عصور، جامعة وهران، الجزائر، 6-7، جوان، ديسمبر/ ص 243.
[4] - بلبشير. المرجع السابق ، ص 245

الغبرينى حياة ثقافية مزدهرة في القرن 6 و7 هـــ ففي القرن السادس هجري شكلت بجاية مركزا لكبار العلماء العصر منهم أبو على المسلي[1] أبو محمد عبد اللحق الأشبيلي[2] والشيخ أبو مدين الغوث[3] الذين كان لهم تأثير بالغ الأهمية في توجيه الحياة الفكرية والروحية للقرن السابع وما بعد خاصة في المغرب الأقصى وكما تصدروا للتدريس والإقراء والسماع مدة طويلة[4].

فالتنوع العلمي الذي انحصر في البيئة البجائية يعود إلى موقعها الذين كان معبرا للتيارات الفكرية والعلمية الوافدة في المشرق من المغرب لذا قال عنها الإدريسي " مدينة بجاية"[5] قطب لكثير من البلاد[6] " وعند الحميري"، قاعدة المغرب الأوسط ونلمس ذلك من كلام الغبريني الذي أشار إلى جملة من مشايخه الذين حظى بالجلوس إليهم الأخذ عنهم لتكرمهم على بجاية كالفقيه أبو عبد الله بن يعقوب والفقيه أبو القاسم الغبريني " لمحة من الفضائل تكفي وإشارة منه تعني... فكيف وقد تكرر ذلك"[7] وما هو معروف عن الغبريني هو اطلاعه وفهمه العلمي بالإضافة إلى تنوع مشاربه وتتلمذه على كبار شيوخ عصره فله بعض القصائد الشعرية لاتزال مخطوطة في مكاتب المغرب الأقصى من نظمه أو منسوبة إليه[8].

[1] - هو أبو علي بن محمد المسيلي الفقيه الفاضل العالم العابد كان يسمى أبا حامد الصغير توفي نحو 580- 1185 م، الغبريني المصدر السابق، ص 66.
[2] - هو أبو محمد بن الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله بن حسين بن سعيد، بن إبراهيم الأزدي الأشبيلى، الفقيه المحدث العابد الزاهد القاضي الخطيب (ت 581 ، نفسه، ص 73.
[3] - هو من مشايخ المغرب سيدي أبو مدين الغوث، شعيب بن الحسن الأنصاري الأندلسي الأصل سيد العارفين وقدوتهم الإمام المشهور أحد كبار المراجع الصوتية توفي سنة 594هـ/ 1197 م، نفسه، ص 85.
[4] - بلبشير ، المرجع السابق، ص 255.
[5] - الإدريسي، المصدر السابق، ص 111.
[6] - الحميري، المصدر السابق، ص 166.
[7] - الغبريني، المصدر السابق، ص 357.
[8] - نفسه، ص

ابن القنفذ القسنطيني (740 – 810 هـ/ 1340 – 1407م)

هو أبو العباس بن أحمد الحسن بن علي المعروف والشهير بابن القنفذ ابن قسنطينة نشأ في عائلة علم و دين وتصوف ودرس على علماء من المشرق والمغرب[1]. باحث له علم في التراجم والحديث والفرائض أخذ عن جماعة من العلماء مثل أبي القاسم السبتي، أبي عمران موسى العبدوسى ، ارتحل الى بلاد إفريقية ثم حل ببلاد المغرب الأقصى حيث نزل بفاس سنة 759 هـ/ 1355م بقي فيها ثمانية عشر سنة فحصل على علوم كثيرة أين التقى بعلماء أجلاء وتنقل كثيرا في المدن وحواضر المدن الأقصى[2] فكانت تأثيرات عصره واضحة على شخصية خاصة في الجانب العلمي والثقافي في البلاد المغرب حيث عرفت حركة كبيرة عكستها حركة التأليف والتواصل العلمي، أما بالمغرب الأقصى فقد تأثر ابن القنفذ بانتشار دراسة العلوم السماوية وكما تأثر كثيرا بالتصوف الذي ظهر جليا في كتاب أنس الفقير

وله مؤلفات عديدة " تقريب الدلالة في شرح الرسالة " أنوار السعادة في أصول العبادة[3]

فالمغرب الأقصى كانت أرضية خصبة لفائدة رواج الفكر والاتجاه الصوفيين فقد عرف تطورا كبيرا جدا وما يؤكد هذا هو ما حظيت به مدينة مراكش إذا أنها شكلت مراكز طلائعيا للترويج الفكر الصوفي بفضل رجالاتها وصلحاءها بين أرجاء المغرب خاصة المغرب الأوسط[4].

[1] - ابن قنفذ، **الوفيات**، تح، عادل بويهض، ط 4، 1983، دار الأفاق جديدة، بيروت، 1983، ص 6.
[2] - عبد القادر قوبع، **دور ابن القنفذ القسنطيني في تأريخ الحياة السياسية و الثقافية و الدينية للجزائر الحفصية** مجلة عصور، جامعة وهران، الجزائر، العدد، 3- 4، ص 66.
[3] - عبد القادر قويع، المرجع السابق، ص 70- 77.
[4] - جمال علال البختي، **الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب إلى حدود القرن 7هـ**، مطبعة الخليج العربي للنشر، ط 1، 124/ 2003، ص 64- 65.

ومن شخصيات الفكر الصوفي لهذا العصر شخصية كان لها بعد وتأثير في المجالين العقائدي والأصولي بصمتها كانت بارزة وقوية تلك هي شخصية أبي الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحوي[1]ومن قلعة بني حماد فقد تجول ابن النحوي بالمغرب ونزل سلجماسة وفاس وكان عالما بالعلوم العقلية والنقلية[2]

*** أبوا العشي الخزرجي التلمساني:**

محمد بن أبي زيد عبد الرحيم بن محمد بن أبي العيش (توفي في أوائل القرن 7 هـ / 13 م، الأديب الأصولي الزاهد اشبيلي الأصل نشأ بتلمسان وأخذ بها عن أبي بكرين سعادة الأشبيلي وابن محمد حوط الله وأبي عبد الله بن عبد اللحق له تأليف في أصول الدين والفقه وشرح أسماء الله الحسنى[3].

* **عبد السلام التونسي:** أبو محمد (ت 518 هـ، 1124م)، نشأ بأغمات وأخذ عن عمه طريق التصوف ورافقه إلى الأندلس ثم قدم إلى تلمسان سنة 486 هـ / 1093 م وبعد وفاة عمه فأسس رابطة العباد خارج المدينة وكان يدرس فيها كتاب " الرعايا للمحاسبي «وإحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي"[4].

[1] - نفسه، ص 79.
[2] - نفسه، ص 79.
[3] - قوبع .المرجع السابق، ص 94.
[4] - البختى .المرجع السابق ، ص 65.

ومدين الشعيب بن الحسين الأشبيلي : (ت 594 هـ / 1198 م).

في قرية تدعى قطنية قرب إشبيلية ورحل بالمغرب وأخذ بفاس عن بعض العلماء والصحراء أمثال ابن حرزهم ورحل إلى بلاد إفريقية ثم استقر ببجاية مدة طويلة لأبي مدين مكانة سامية في التصوف المغاربي.

ان مساهمة ودور علماء المغرب الأوسط في ازدهارها وتنشيط الحركة الثقافية والعلمية في بلاد المغرب الأقصى خلال القرن 5 – 7هـ / 12 – 14 م واعتبرت مساهمة كبيرة إلى حدما، ويرجع كثير من الفصل لعلماء المغرب الأوسط في تكوين عدد لا بئس به من الطلبة وحتى الشيوخ والعلماء خاصة في مدينة فاس وسبتة ومراكش واللاتين كانتا مقصد عدد كبير من العلماء وشيوخ المغرب الأوسط[1].

ولقد بلغت المشيخة العلمية والأدبية في بلاد المغرب الأوسط خاصة في مدينة تلمسان وبجاية درجة كبيرة من النضج خاصة خلال القرن السابع والثامن الهجري جعلها تفرض نفسها في الأوساط العلمية شرقا وغربا حيث كانوا يتجهون نحو قاعة الدرس والاعتناء بالتحصيل العلمي ونشره والاستكثار من مجالسه الشيوخ والرواية[2].

[1] - التبكتي، المصدر السابق، ص 182 – 183.
[2] - المقري، المصدر السابق، ص 24- 25.

وقد نزل مدينة بجاية عدد لا بئس به من شيوخ وطلبة المغرب الأقصى كان من بينهم أبو الخطاب بن عمر بن حسن بن علي الكلبي السبتي والذي يعرف باسم دحية[1]. المتوفي سنة 633 هـ / 1235 م ومحمد بن عمران بن رشيد السبتي[2]. المتوفي 721 هـ/ 1321 م، وفي المقابل ذلك ارتحل عدد كبير من كبار الشيوخ والأعلام من بلاد المغرب الأوسط نخو المغرب الأقصى وساهما بقسط وافر في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية وبالتالي فإن معارفهم ومصنفاتهم قد انتشرت في أرجاء بلاد المغرب الإسلامي أين تلقوها طلبة المدارس المغربية[3]. ومن بين هذه المؤلفات مختصر ابن الحاجب[4]. في الأصول والفروع أتى به أبو علي ناصر الدين المشدالي إلى بجاية وفي المقابل دخل الفقيه محمد بن الفتوح التلمساني مختصر خليل بن إسحاق المالكي إلى بلاد المغرب الأقصى[5].

ولاشك إذن في أن جهود ودور علماء المغرب الأوسط في ازدهار الحركة الثقافية والعلمية في بلاد المغرب الأقصى خلال الفرن 6- 7 هـ / 12- 13 م، ستكون إلى جانب كبير من الأهمية والفاعلية وذلك بالنظر إلى توافد عدد كبير من الشيوخ وعلماء المغرب الأوسط إلى مدينة فاس ومراكش وباقي المدن المغربية الأخرى وتشمل هذه المساهمة فيما يلي:

[1] - نفسه، ص 26.
[2] - نفسه، ص 26.
[3] - ابن دحية (ت 633 هـ/ 1235م) هو أبو الخطاب عمر بن الحسن بني علي الشيخ الفقيه المحدث الحافظ، استوطن بجاية روى بها وكان من أحفظ أهل زمانه باللغة ارتحل إلى المشرق في عهد أبي أيوب الغبريني، المصدر السابق، ص 269.
[4] - ابن رشيد السبتي(ت 721 هـ/ 1321 م) هو محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن سعيد من أهل سبة يعرف بابن رشيد رحل الى المشرق لأداء الفريضة الحج سنة 683 هـ/ 1284 م، حيث زار أماكن عديدة وصف رحله سماها العيبة فيها جمع بطول الغيبة في رحلة إلى مكة وإلى القاضي السابق، المصدر، ص 289.
[5] - رشيد خالدي **دور العلماء الأوسط في ازدهار الحركة العلمية في الغرب الأقصى**، مذكرة ماجستير، جامعة تلمسان .الجزائر. 2010 ص140

الإقراء والتدريس:

وأثر ذلك واضح في تشجيع أمراء الحماديين للعلم والعلماء[1].واحتفائهم به أن ارتحل إلى بلاد المغرب الأقصى خلال القرنين 6 – 7 هـ/ 12-13 م عدد هام من كبار الشيوخ والعلماء بالمدارس واشتغلوا فيها كمدرسين وهناك من هؤلاء العلماء من تقلد الخطبة في مساجد وجوامع بلاد المغرب الأقصى و منهم من انظم الى المجالس العلمية.

لقد ساهم هؤلاء العلماء في تنشيط الحياة الثقافية و العلمية في المغرب الاقصى حيث استقروا في المدن مغربية عديدة وكلما نزل شيخ أو عالم من هؤلاء مدينة ما إلا وتحلق حوله عدد من الطلبة العلم يأخذون عنه ويتدارسون في مسائل مختلفة في العلوم النقلية والعقلية[2].

ولم يقتصر دور علماء المغرب الأوسط في الإشعاع الثقافي والفكري في المغرب الأقصى بل كانت هناك جلسات وحلقات ذكر ومناظرات شاركت فيها نخبة من علماء المغرب الأوسط وكانت بمثابة محور ورافد أخر لازدهار الحركة العلمية والثقافية في المغرب الأقصى[3].

إضافة إلى مناظرات علمية شارك فيها علماء المغرب الأوسط فإن دور هؤلاء العلماء ومساهمتهم تظهر جليا في تلك المصنفات والمؤلفات المختلفة التي وضعها علماء المغرب الأوسط في شتى العلوم النقلية والعقلية[4] وبالتالي فإن هذه المصنفات ساهمت بلا شك في ازدهار

[1] - ابن الحاجب يكنى، أبا عمر والإمام الفقيه المالكي، كان بارعا في العلوم الأصولية استوطن مصر والشام، محقق علم العربية لمذهب مالك، ابن فرحون، المصدر السابق، 290.
[2] - الفيلالي، المرجع السابق، ص 328.
[3] - خالدي، المرجع السابق، ص 82.
[4] - المقري، المصدر السابق، ص 297.

الحياة الثقافية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي عامة وبلاد المغرب الأقصى خاصة . أصبح من علماء المغرب الأوسط من يعرف بالفاسي أو المكناسي[1] ومما يدل على ذلك هو أن الخزائن العلمية بالمغرب الأقصى لاتزال تحتفظ بعدد من أصول المخطوطات الأصلية التي وضعها علماء المغرب الأوسط خلال هذه الفترة ومن أهم المصنفات التي وضعها علماء المغرب الأوسط والتي كان لها الأثر الواضح في تبلور الحركة الثقافية والفكرية في المغرب الأقصى نذكر منهم: مؤلفات ابن قنفذ[2] باعتباره مكث في بلاد المغرب 18 سنة وخلال هذه الإقامة الطويلة كان لها نشاط علمي بارز واعتنى بالتأليف ويظهر ذلك من خلال مجموعة من المؤلفات التي كتبها:

شرح الرسالة في أربعة أسفار سماه " تقريب الدلائل في شرح الرسالة " وشرح تلخيص ابن البناء العددي سماه " حفظ النقاب عن وجوه الحساب " وكتاب " تسهيل الطالب في تعديل الكواكب[3].

لاتزال الخزائن الحسنية بالرباط تحتفظ إلى اليوم بعدد هائل من مخطوطات علماء المغرب الأوسط.

[1] - نفسه، ص 299.
[2] - خالدي، المرجع السابق، ص 84.
[3] - محمد جابر الأنصاري، **التفاعل الثقافي، بين المغرب والمشرق في آثار بن سعيد المغربي**، ط 1، دار العرب الإسلامي، بيروت 1992، ص 15.

الملاحظ أن الاعتناء بالحركة العلمية المميزة عرفت بها كل من دولة الحماديين والمرابطية فكانت منافستها في تقريب علماء في مجالسهم تساوي منافستهم في ضخامة السلطان وامتلاك الأوطان.

فعمت المعارف بالمدن والقرى وجعلوا من مجالسهم حظا لمناظرة العلماء بين أيديهم[1]

ومنه فإن تأثير وتأثر علماء المغرب الأوسط في الحركة العلمية في المغرب الأقصى خلال القرن 5 – 7 هـ/ 11- 13 م تعبير بالغة الأهمية نظرا لدور هؤلاء العلماء في تمتين الروابط الثقافية بين المغربين من جهة ثانية إثراء وتنشيط الحركة الثقافية والعلمية في بلاد المغرب الإسلامي خلال هذه الفترة[2].

إن الصلات الثقافية والفكرية بين بلاد المغربين الأوسط والأقصى لم تتعرض لهزات عنيفة كتلك التي شهدتها الحياة السياسية بل على العكس من ذلك فإنها أحد الاعتبارات التي زادت في تعميق العلاقات الثقافية بين المغربين ، وساهمت بشكل كبير في تعزيز الصلات الثقافية وزيادة الاحتكاك بين علمائه ومد جسور التواصل الثقافي بين الدولتين[3].

[1] - مصطفى معزاوي ، **أبو العباس الغبريني البجائي**، مجلة عصور، جامعة وهران، الجزائر، العدد 3 – 4، 2011/ 2012، ص 71.
[2] - خالدي المرجع السابق، ص 109.
[3] - نفسه، ص 121- 122.

الخاتمة

الخاتمة:

و بعد الدراسة التاريخية التي قمت بها حول العلاقات والروابط العلمية بين الدولة الحمادية و الدولة المرابطية، استطعت الإجابة عن التساؤلات المطروحة و ذلك بعد الاطلاع على بعض المصادر والمراجع المهمة التي خدمت الموضوع وعليه يمكن إدراجها في النقاط التالية:

1- الدولة الحمادية خلفت لنا أرثا حضارية متنوعا ما يزال ظاهرا للعيان كالعمران والصانع ومنها ما هو محفوظ في بطون أمهات الكتب مثل العلوم النقلية والعقلية.

2- نفس الشيء للدولة المرابطية التي هي الأخرى حذت حذو الدولة الحمادية، فهناك امتداد لتأثير بعض الفنون كالعمارة والنقش والصانع العلوم بمختلف أنواعها سواء النقلية أو العقلية.

3- توفير كل الوسائل لخدمة العلم والعلماء كبناء المنشآت الخاصة بذلك كالمساجد والمدارس والزوايا والمدارس... الخ.

4 – تشجيع الأمراء في كلتا الدولتين للجانب العلمي وتقريب العلماء من بلاطهم للاستفادة منهم في تسيير شؤون دولتهما.

5- إبراز مساهمة ودور علماء المغرب الأوسط في الإشعاع الثقافي والعلمي الذي شهدته بلاد المغرب الأقصى خلال القرن (5- 7 هـ / 11- 12 م، والكشف عن الجوانب المتعلقة بالحالة الثقافية العامة التي كانت عليها بلاد المغرب.

1- إن التواصل الثقافي والعلمي بين المغربين الأوسط والأقصى قد ساهم في تعزيز الصلات الثقافية وزيادة الاحتكاك بين علمائه ومد جسور التواصل الثقافي

2- الذي سيعكس بلا شك في ازدهار الحياة الثقافية والفكرية في بلاد المغرب الإسلامي ومما يدل على درجة التأثير والتأثر الحاصل في المنطقة ككل

3- تبيان العلاقات والصلات الثقافية والفكرية بين حاضرتي بلاد المغرب الأوسط والأقصى وهما مدينتي "بجاية "ومراكش".

وفي الأخير نقول أن كلا الدولتين كان لهما باع كبير في الجانب العلمي والثقافي.

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر

القران الكريم

الحديث النبوي

1)البخاري .(عبد الله محمد بن مغيرة بن بردزبة).صحيح البخاري .ج2.طبعة جديدة .بيروت .دار الكتاب العلمية

2)ابن الابار (محمد بن عبد الله القطاعي البلسى)، التكملة لكتاب الصلة، تعليق ألفريد بال، مطبعة الشرقية للإخوة فونطا، الجزائر 1919.

4) ابن ابى دينار (ابو عبد الله محمد بن أبي القاسم الرعينيى القيرواني)، المؤسس في أخبار إفريقية وتونس، ط 2، تحقيق محمد شنان، المكتب العتيق تونس.

5) أبي زرع.(على بن عبد الله).، الأندلس المطرب بروض القرطاس في أخبار وتاريخ مدينة فاس، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط، 1972.

6) ابن الأثير،(الجزري). الكامل في التاريخ، ط 4، دار الكتاب العلمية بيروت.

7) ابن بسام. (ابو الحسن على بن بسام الشنترينى)، الذخيرة في مجالس أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1998.

8) البكري، (ابو عبيد الله بن عبد العزيز).المسالك والممالك، ج 2، تحقيق، فان لويغن أندري فيري، المؤسسة الوطنية للترجمة و التحقيق و الدراسات بيت الحكمة الدار العربية للكتاب، تونس، 1992.

9) البيذق (أبو بكر علي الصنهاجي) ، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق عبد الحميد حاجيات المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1975.

10) التنبكتى.(أبو العباس بن أحمد بابا)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، مصر 1351. (كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الدباجة).ج 2، ط 1، مكتبة الثقافة الدينية القاهرة، 2004.

11) ابن جبير .(ابو الحسن محمد بن احمد البلنسى) .رحلة ابن جبير. المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية. الجزائر 1987

12) ابن خلكان.(ابو العباس شمس الدين احمد بن محمد). وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان المطبعة اليمنية، مصر 1310 هـ.

13) الحميري.(محمد بن عبد المنعم)، الروض المعطار في أخبار الأقطار، تحقيق احسان عباس، بيروت، 1975.

14) ابن الخطيب،(لسان الدين). الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق عنان الله، ج 3، ط 1، مكتبة الحانجي، القاهرة 1947.

15)ابن خلدون، (ابو زيد عبد الرحمان بن محمد المغربي). المقدمة، تحقيق تعليق، محمد صديق المنشاوي القاهرة، 2005.

16) ابن خلدون، (ابى زكريا يحي). بغية الرواد في ذكر الملوك من أبي عبد الواد، ج 1، تحقيق عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1980 م.

17) الخنفاوي، (ابو القاسم محمد).تعريف الخلف برجال السلف،ط1.مؤسسة الرسالة بيروت لبنان المكتبة العتيقة تونس، 1995 م.

18) السيوطي، (جلال الدين عبد الرحمن).مجموعة رسائل السيوطي، ج 1، شركة الشهاب للطبع.

19) ابن عذارى المراكشي .(ابو الحسن احمد) .البيان المغرب في اخبار الاندلس و المغرب. ج1. نشر كولان و ليفر بروفنسال. دار الثقافة بيروت 1980

20) ابن العماد الحنبلي . (عبد الحي بن احمد بن محمد)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، بيروت.

21) الغبرينى(أبو العباس أحمد)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء السابعة ببجاية، تحقيق عادل نوهيص، دار الكتاب اللبناني ، لبنان، 1979.

22) ابن فرحون اليعمري .(برهان الدين ابراهيم بن على بن محمد)، الديباج المذهب في معرفة أعيان العلماء المذهب، ط 1، س 1329 م.

23) القاضي عياض .(ابو الفضل بن موسى بن عياض اليحصبى السبتى)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق أحمد بكير محمود، منشورات مكتبة الحياة بيروت، 1927.

24) القاضى.(ابو العباس أحمد بن محمد بن احمد المكناسى) ، حذوة الاقتباس في ذكر من حل بمدينة فاس، الرباط، 1973.

25) القسنطينى .(أبي العباس أحمد)، كتاب الوفيات، تحقيق عادل نوهيض منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر، بيروت، 1971.

26) ابن القطان،(ابو محمد حسن بن على). نطق الجمان لترتيب ما سلف من اخبار الزمان، تحقيق محمد علي مكي، المطبعة المهدية تيطوان.

27) القلصادى.(ابو الحسن على بن محمد بن محمد القرشي) .رحلة القلصادين تمهيد الطالب و منتهى الراغب الى اعلى المنازل و المناقب. تحقيق محمد ابو الاجفان شركة التونسية للتوزيع .تونس 1978

28) القلقشندي .(أبو العباس بن محمد علي)، صبح الأعشى في صناعة الأنشاء، دار الكتاب المصري، القاهرة، بيروت، 1990.

29) ابن قنفذ.(ابو العباس احمد القسنطينى). الوفيات .تحقيق عادل نويهض .ط4 1983 .دار الافاق جديدة بيروت 1980.

30) الكناني،(عبد الحى).الترتيب الإدارية، ج 2، دار الكتاب العربي بيروت.

31) القزويني. (زكريا بن محمد).اثار البلاد و اخبار العباد. دار صادر بيروت. د ت

32) مجهول. (مؤلف)، الاستبصار في عجائب الامصار نشر و تعليق سعد زغلول عبد الحميد دار الشؤون الثقافية العامة العراق

33) .....، الحلل الموشية، في ذكر الأخبار المراكشية. تحقيق سهيل زكار و عبد القادر رزمامة ط1 1979 نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة

34) المراكشي. (عبد الواحد بن على)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب والأندلس، ج 1، تحقيق محمد سعيد العريان، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، الامارة العربية المتحدة للنشر.

35) ابن مرزوق الخطيب .(ابو عبد الله محمد التلمساني).المسند الصحيح في مأثر مولانا الحسن .تحقيق ماريا خيسوس بغيرا. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981

36) ابن مريم (ابو عبد الله بن احمد الملينى التلمساني)، البستان، تحقيق بن أبي شنب، ط 1، الجزائر 1326، 1905.

37) المقري.(ابو العباس احمد بن محمد التلمساني)، نفح الطبيب في غصن الأندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت، 1988، مج 5.

38) ابن منظور.(جمال الدين بن محمد المكرم الأنصاري) . لسان العرب، ج 4، طبعة ولائق، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والإنشاء، النشر، ط 18، رجب، 1300.

39) الناصري السلاوي.(ابو العباس احمد).الاستقصاء لا خبار دول المغرب الاقصى. ج1 .تحقيق محمد و جعفر الناصري. دار الكتب الدار البيضاء 1950

40) النويري.(شهاب الدين بن أحمد بن عبد الوهاب)، نهاية الأرب في فنون الأدب، دار الكتب للنشر.

41) الوازن.(حسن بن محمد الفاسي)، وصف إفريقيا، ج 2، ترجمة محمد حجي محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي بيروت 1983.

42) الونشريسي، (ابو العباس احمد بن يحي)المعيار المغرب الجامع المغرب، عن فتاوي علماء افريقية والأندلس والمغرب، تحقيق، محمد حجي، دار الغرب الإسلامي بيروت 1981.

43) الياقوت الحموي .(شهاب الدين أبي عبد الله) ، معجم البلدان، ج 4، دار صادر بيروت.

قائمة المراجع بالعربية:

1) البلنسى.(بشير رمضان) ، الاتجاهات الفكرية في بلاد المغرب الإسلامي خلال القرن الرابع هجر، دار المدار الإسلامي، ط 1، بيروت 2003.

2) الإدريسي.(محمد بن عبد العزيز القاوري)، وصف المغرب والأندلس، تحقيق دوزي دي غويه، سنة 1966.

3) الأنصاري (محمد جابر) التفاعل الثقافي بين المغرب و المشرق فى اثار ابن سعيد المغربي ط1 دار الغرب الإسلامي بيروت 1992

4) البختى.(جمال علال). الحضور الصوفي في الاندلس و المغرب الى حدود القرن 7ه .مطبعة الخليج العربي للنشر. ط1 .2003/1424

5) بروفنسال.(ليفر) ، رسالة موحديه من انشاء كتاب دولة المؤمنية الرباط 1941.

6) ابن بشكوال.(أبو القاسم حلف بن عبد المالك) الصلة في تاريخ أئمة الأندلسيين، بيروت 1955 م.

7) بن قربة.(صالح)، المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة بني حماد، مؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1986.

8) بورويبة.(رشيد)، الجزائر في تاريخ العهد الاسلامي من الفتح إلى نهاية العهد العثماني، المؤسسة الوطنية للكتاب – الجزائر 1984

9) بونابى.(الطاهر)، التصوف في الجزائر خلال القرنين 6 -7هـ / 12 – 13 م، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر 2007.

10) التجيبنى.(محمد أحمد) ابن عبدون، ثلاث رسائل أندلسية في الحسبة المحتسب، تحقيق ليفي بروفينسال القاهرة 1955 م.

11) الترغى .(عبد الله مرابط) ، فهارس العلماء منذ النشأة إلى نهاية القرن الثالث ط 1، 1420 هـ- 1990.

12) الثعالبي.(عبد الرحمن) ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق عمار الطالبي، ج 4، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1985م.

13) جاك. (ميدوز) ، أفاق الاتصال ومنافذ في العلوم التكنولوجيا، ترجمة حشمت محمد عبد القاسم، القاهرة، المركز العربي للصحافة 1949.

14) حسن (محمد علي) ، الحضارة الاسلامية في المغرب العربي في العصر الإسلامي ط 1، دار الكتاب الحديث للنشر 2009.

15) حسن.(أحمد محمد)، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة.

16) دندش. (عصمت عبد اللطيف)، الأندلس في نهاية المرابطين ومسهل الموحدين، ط 1، دار العرب الإسلامي، بيروت 1408.

17) روتفن(ماليز) بمشاركة عظيم الناجي، الأطلس التاريخي العالم الاسلامي ترجمة سامي كعكي، 2007.

18) الزركشي .(محمد بن عبد الله) ، إعلام الساجد بأحكام المساجد، تحقيق الشيخ أبو الوفا مصطفى المراغي، القاهرة، 1355 هـ.

19) زغلول .(عبد الحميد) ، تاريخ المغرب القديم، منشأة المعارف الاسكندرية، ج 3، بدون تاريخ، ص 72.

20) ابن الزيات التادلى.(أبو يعقوب بن يوسف) ، التشوف إلى رجال التصوف، تح أحمد توفيق المدني، منشورات جامعة محمد الخامس، الرباط 1984.

21) سحنون. (محمد) ، كتاب أدب المعلمين، تحقيق محمد عبد المولى، الشركة الوطنية للنشر

22) سعدون (عباس نصر الله)، دولة المرابطين في الأندلس عهد يوسف بن تاشفين، ط 1 دار النهضة العربية للنشر بيروت.

23) السعيدي.(المهدي بن محمد) ، المدارس العلمية العتيقة بالمغرب واشعاعها العلمي والأدبي، منشورات وراء الأفاق الرباط، 2006.

24) السويدان.(طارق) ، الدروس والعبر من السيرة الكاملة لحياة الإمام ومسيرته العلمية، ط 1، شركة الإبداع الفكري للنشر الكويت، 2009.

25) سيدى موسى .(محمد شريف) ، الحياة الفكرية في بجاي، د ط، د ت.

26) شارل أندري.(جوليان) ، تاريخ افريقيا الشمالية، تونس، المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830 م، تعريف محمد ما زالي، ط 2، الدار التونسية للنشر، 1985 م.

27) شلبى.(أحمد)، تاريخ التربية الاسلامية أصولها وتطورها في البلاد العربية نشر عالم الكتاب، القاهرة.

28) الشيخ.(ابو عمران).و اخرون معجم مشاهير المغاربة الملكية للطباعة والنشر جامعة الجزائر 1995

29) طلس .(محمد أسعد) ، التربية والتعليم في الإسلام، دار العلم للملايين.

30) الطمار.(محمد)، المغرب الأوسط في ظل صنهاجة، ديوان المطبوعات الجامعية رقم 05، 2010.

31) عبد المنعم،(حمدي). تاريخ المغرب والأندلس في العصر المرابطين، مكتبة الخانجى. بيروت

32) العربي،(اسماعيل). دولة بني حماد ملوك القلعة وبجاية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

33) ابن الفرضي .(ابو الوليد عبد الله محمد). تاريخ علماء الأندلس، تحقيق ابراهيم الابياري، ج 3، دار المكتب مصر للنشر، القاهرة، ب ت.

34) الفقى.(عبد الرزوق)، تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة نهضة المشرق للنشر القاهرة.

35) فكرى .(أحمد) ، المسجد الجامع بالقيروان، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، القاهرة، 1936.

36) فويال.(سعاد)، المساجد الأثرية بمدينة الجزائر، دار المعرفة للنشر.

37) الفيلالي. (مختار الطاهر) ، نشاط المرابطين والطرق الصوفية وأثرها في الجزائر على العهد العثماني، دار الفن للنشر (مذكرة).

38) القبلي.(محمد)، مرجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، دار توبقال للنشر، دار البيضاء المغرب، 1987.

39) كنون.(عبد الله) ، النبوغ المغربي، الرباط. المغرب

40) مارسيه.(جورج).بلاد المغرب وعلاقاتها بالمشرق الإسلامي في العصور الوسطى، ترجمة محمد على الصمد هيكل، منشأة المعارف الاسكندرية للنشر.

41) محمد .(النسيب). زوايا العلم والقرآن في الجزائر، دار الفكر، الجزائر الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر 2002.

42) محمد حاج صادق، المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي، ديوان المطبوعات الجامعية، د ت، ط.

43) محمود. (حسن احمد) ، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ص 95. حركات.(ابراهيم) ، المغرب عبر التاريخ، دار الرشاد الحديثة للنشر، الدار البيضاء مجلد 2.

44) المعافى.(أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي)، أحكام القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة 1967م.

45) المغراوي .(أحمد محمد)، جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض للمعلمين وآداب الصبيان، تحقيق أحمد جلول بدوي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

46) المقراني.(محمد بن يحي بن عمر) .توشيح الديباج و خلية الابتهاج .تحقيق على عمر. ط1 2004. مكتبة الثقافة الدينية .القاهرة

47) الميلي.(مبارك بن محمد) ، تاريخ الجزائر القديم والحديث، الشركة الوطنية للنشر دار التوزيع، الجزائر، 1976.

48) نويهض(عادل). معجم اعلام الجزائر من صدر الإسلامي الى العصر الحاضر. ط2 1980. مؤسسة نويهض للثقافة و التأليف دار النشر بيروت لبنان

49) هلال(عمار). العلماء الجزائريون في البلدان العربية و الاسلامية بين القرنين 9 و20 ميلادي. ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر. 1995

50) الهنتاتى.(النجم الدين) ، المذهب المالكي بالمغرب الإسلامي، تبير الزمان للنشر ، تونس، 2004.

51) الولى (طه)، المساجد في الإسلام.

52) بوتشيش.(ابراهيم القادري) ، الإسلام السري في المغرب العربي، ط 1، مؤسسة سينا للنشر، 1995.

53) بونار.(رابح)، المغرب العربي، تاريخه وثقافته، دار الكتاب للنشر، 1968

54)حسن .(على حسن)، الحضارة الاسلامية في المغرب و الاندلس، ط 1، مكتبة الخانجي، مصر 1980.

55) حسن.(علي حسن).الحضارة الإسلامية المغرب والأندلس، ط 1، مكتبة الخانني، مصر 1980.

56) دبوز. (محمد علي)، تاريخ المغرب الكبير، ج 1، مؤسسة تاولت للثقافة، 2010.

57) ذيب وآخرون، الحواضر والمراكز الثقافية في الجزائر في العصر الوسيط، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007.

58) الصلابي . (علي محمد) ، فقه التمكين عند دولة المرابطين، ط 1، مؤسس أقرأ للنشر والتوزيع، القاهرة 1427.

59) العيد روس.(محمد حسن) ، المغرب العربي في العصر الاسلامي، ط 1، دار الكتاب الحديث للنشر، القاهرة، 2009.

60) ابو القاسم. (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 1، ط 1.

61) لقبال.(موسى)، المغرب الاسلامي، ط 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981.

62) بوعزيز.(يحي).أعلام الفكر الثقافة في الجزائر المحروسة، ج 1، ط 1، 1995.

63)الجيلالي.(عبد الرحمن)، تاريخ الجزائر العام ج1، ط 3، الجزائر1982.

64) حساني.(ختار)، موسوعة التاريخ وثقافة المدن الجزائرية ج 4، دار الكتب الجزائر، 2007.

65) الخطاب.(محمد سيت) ، قادة فتح المغرب العربي، دار الفكر، ط 7، بدون تاريخ.

66) سعيد .(شوقي ضيف).المغرب في حلي المغرب،ج1 طبع دار المعارف بمصر 1053م

67) الزجالى.(أبو يحي)، أمثال العوام في الأندلس، تحقيق، بنشريفة، فاس، 1972 87

68) اعراب (سعيد) ، القاضي بن بكر العربي، ط 1، دار العرب الإسلامي، 1407 – 1987.

69) النجار.(عبد المجيد)، المهدي بن تومرت، ط 1، دار الغرب الاسلامي 1043هـ– 1983 م.

70)الكعاك.(عثمان).موجز تاريخ للجزائر، بدار مكتبة العرب بتونس، 1925،

71) زروق. (محمد) ، دراسات في تاريخ المغرب، ط 1991،1دار البيضاء.

72) البيسونى.(ابراهيم) ، نشأة التصوف الإسلامي، دار المعارف مصر 1996.

73) حسن .(اسامة) ، رجال لهم تاريخ، دار الأمل للنشر ط 1، 1998.

المراجع بالفرنسية

1- Debly ،kalaa des ben ammed ،paris lerousc1092، dides Algérie et civilisations،

الرسائل الجامعية بالعربية:

1- المسعودى (محمد الهامل) .الطريقة و اثارها على العلاقات الانسانية(التيجانية و القادرية) .مذكرة ليسانس. قسم علم النفس وعلم التربية. كلية العلوم الاجتماعية جامعة السانية. وهران الجزائر 2000/1999م

2- الفيلالي.(مختار الطاهر) .نشأة المرابطين و الطرق الصوفية وأثرهما في

3- الشافعى(دياب حامد) الضبط البيبليوغرافي للإنتاج الفكري في الاندلس. بحث قدم الى الملتقى الدولي حول المراكز الثقافية في المغرب العربي. الجزائر وهران

4- الصقلى. (ابن حمديس). الديوان. تحقيق احسان عباس. دار صادر بيروت

5- بونابى (الطاهر) ابو زيد الرحمن الوغليسى جويلية المؤرخ العدد 05 الجزائر2005

6- لعرج (عبد العزيز)المباني المرينية في امارة تلمسان الزيانية .دراسة اثرية ومعمارية وفنية. دكتوراه في الاثار الاسلامية بجامعة الجزائر 1994

7- عبدلي(لخضر).مملكة تلمسان في عهد بنى زيان. اطروحة شهادة التعمق فى البحث. كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية .تونس 1986

8- قويسم(محمد) علماء الرياضيات في مدينة قلعة بنى حماد الملتقى الدولي حول قلعة دولة بنى حماد1000من التأسيس قسم التاريخ بجامعة محمد بوضياف المسيلة الجزائر افريل 2007

9- خالدي(رشيد). دور علماء المغرب الوسط في ازدهار الحركة العلمية في المغرب الاقصى. مذكرة ماجيستر .تلمسان 2010

الرسائل الجامعية بالفرنسية

1- Belhadj(m)، gezayir merkazi، kubbeli camibre ، thèse de magister istambul، 1991

الدوريات (المجلات)

1- عزوزي(حسن) . التأليف في القراءات في المغرب و الاندلس. مجلة الحضارة العدد 1 1993

2- زايد (مصطفى).من المؤسسات التربوية بالجلفة. مجلة الثقافة. العدد 93. الجزائر 1986

3- بوعبدلى(المهدى) .الرباط و الفداء في وهران و القبائل الكبرى. مجلة الاصالة .العدد 13 مطبعة البعث قسنطينة 1973

4- مصطفاوى(رشيد). بجاية في عهد الحمادين. مجلة الاصالة. مطبعة البعث قسنطينة الجزائر العدد 01 .1971م

5- بوعزيز(يحي). جهود الجزائر الفكرية في موكب الحضارة العربية .الاصالة .العدد 19 .الجزائر مارس

6- زواوي(رشيد) التبادل العلمي بين المشرق و المغرب الإسلامي مجلة الحضارة الاسلامية العدد 01 ابريل 1993

7- قاسم (عبده قاسم)المقريزي مجلة العربي العدد 566 يناير 2006

8- بلبشير(عمر) ابو لعباس الغبرينى و كتابه مجلة عصور جامعة وهران الجزائر العدد 6 7 جوان ديسمبر 2005

9- قوبع(عبد القادر) دور ابن القنفذ القسنطينى تاريخ الحياة السياسية و لثقافية و الدينية الجزائر الحفصية، مجلة عصور، جامعة وهران الجزائر العدد 3 -4 .

10- حاجيات(عبد الحميد)، تطور الفكر الإسلامي بالمغرب، مجلة عصور، جامعة الجزائر وهران، العدد 5.

الموسوعات

1- الطنطاوي. (على) .موسوعة شرطيوه .رجال من التاريخ

ندوات و ملتقيات

1- محمد سعيد. (رعد).دور بجاية الحمادية في تكوين نطريه ابن خلدون التاريخية العمرانية عن العمران البشرى و اثر ذلك على الفكر الإسلامي .الملتقى الثامن للفكر الإسلامي

بجاية 1974

ملاحق الصور

ملحق رقم (01): زخارف محراب جامع ملالة

عبد العزيز لعرج، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، ص106.

ملحق رقم (02): منظر عام لجامع إبن تومرت الحديث بملالة

عبد العزيز لعرج، المرجع السابق، ص207.

ملحق رقم (03): منظر عام لضريح سيدي عبد الرحمان الوغليسي (سيدي عيش)

الطاهر بونابي، أبو زيد عبد الرحمان الوغليسي، ص105.

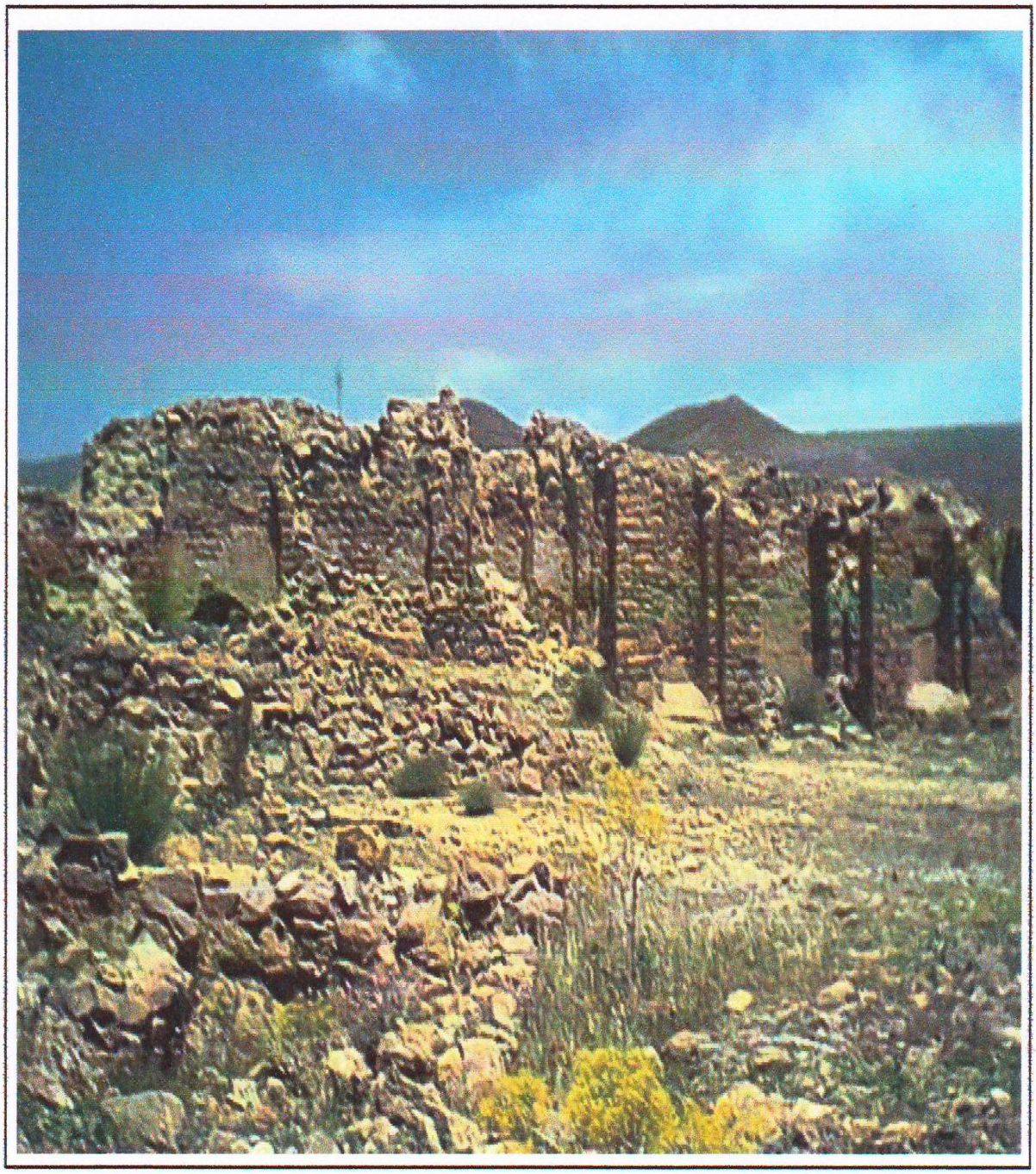

ملحق رقم (04): أطلال قصر البحر بقلعة بني حماد (المسيلة)

عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، ص257.

ملحق رقم (05): بقايا قصر المنار بقلعة بني حماد (المسيلة)

عبد الكريم عزوق، المعالم الأثرية الإسلامية ببجاية ونواحيها، ص258.

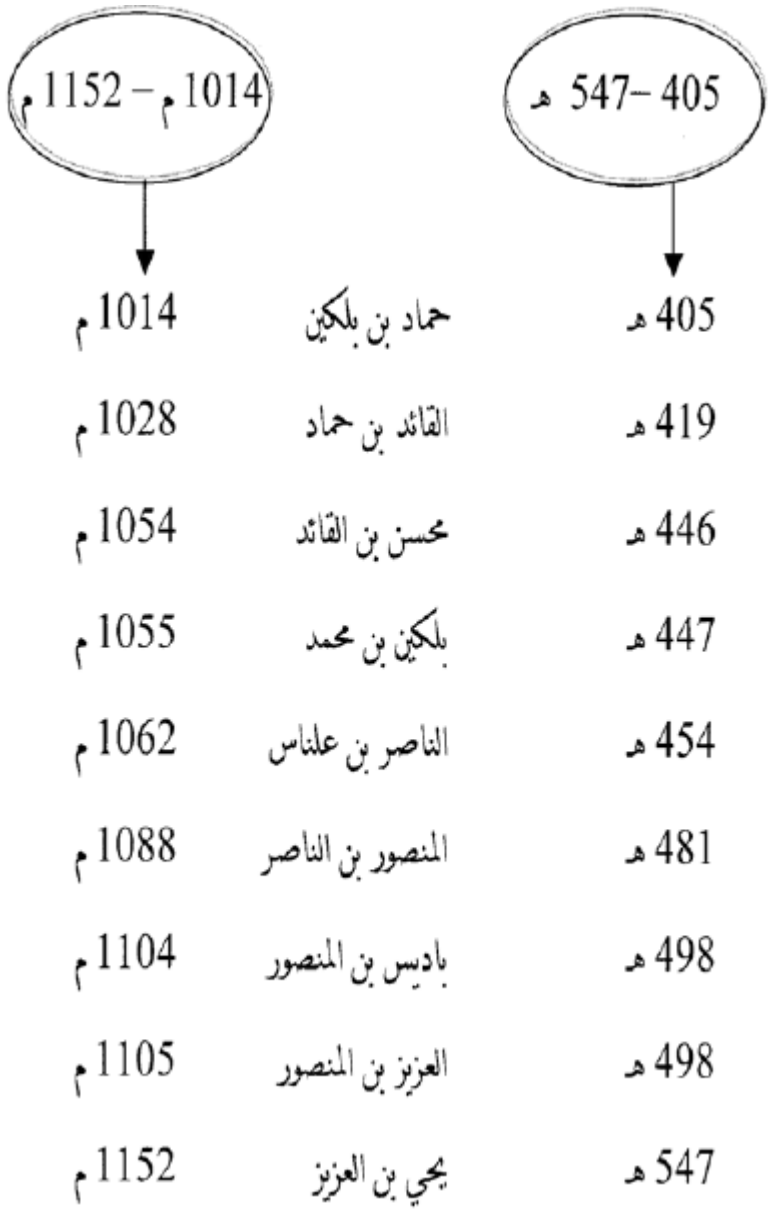

ملحق رقم (06): جدول الأسرة الحمادية الحاكمة بالمغرب الأوسط.

سليمان أحمد سعيد، تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة، ج1، دار المعارف بمصر القاهرة، ط1969م/1389هـ، ص48

١ — ملوك المرابطين

يحيى بن إبراهيم الجدالى
يحيى بن عمر اللمتونى } قبل سنة ٤٤٧ = ١٠٥٥

١ — أبو بكر بن عمر اللمتونى (توفى سنة ٤٨٠) ... ٤٤٨ = ١٠٥٦

٢ — يوسف بن تاشفين ... ... ٤٨٠ = ١٠٧٨

٣ — على بن يوسف ... ... ٥٠٠ = ١١٠٦

٤ — تاشفين بن على (توفى سنة ٥٤٠) ... ... ٥٣٧ = ١١٤٢

٥ — إبرهيم بن تاشفين بن على ... ... ٥٤٠ = ١١٤٥

٦ — إسحق بن على بن يوسف (توفى سنة ٥٤١) ... ٥٤٠ = ١١٤٥

يحيى بن غانية (آخر ولاة المرابطين بالأندلس توفى سنة ٥٤٣) .

ملحق رقم (07): ملوك الدولة المرابطية

حسن أحمد محمد، قيام دولة المرابطين، دار الفكر العربي، القاهرة، ص455.

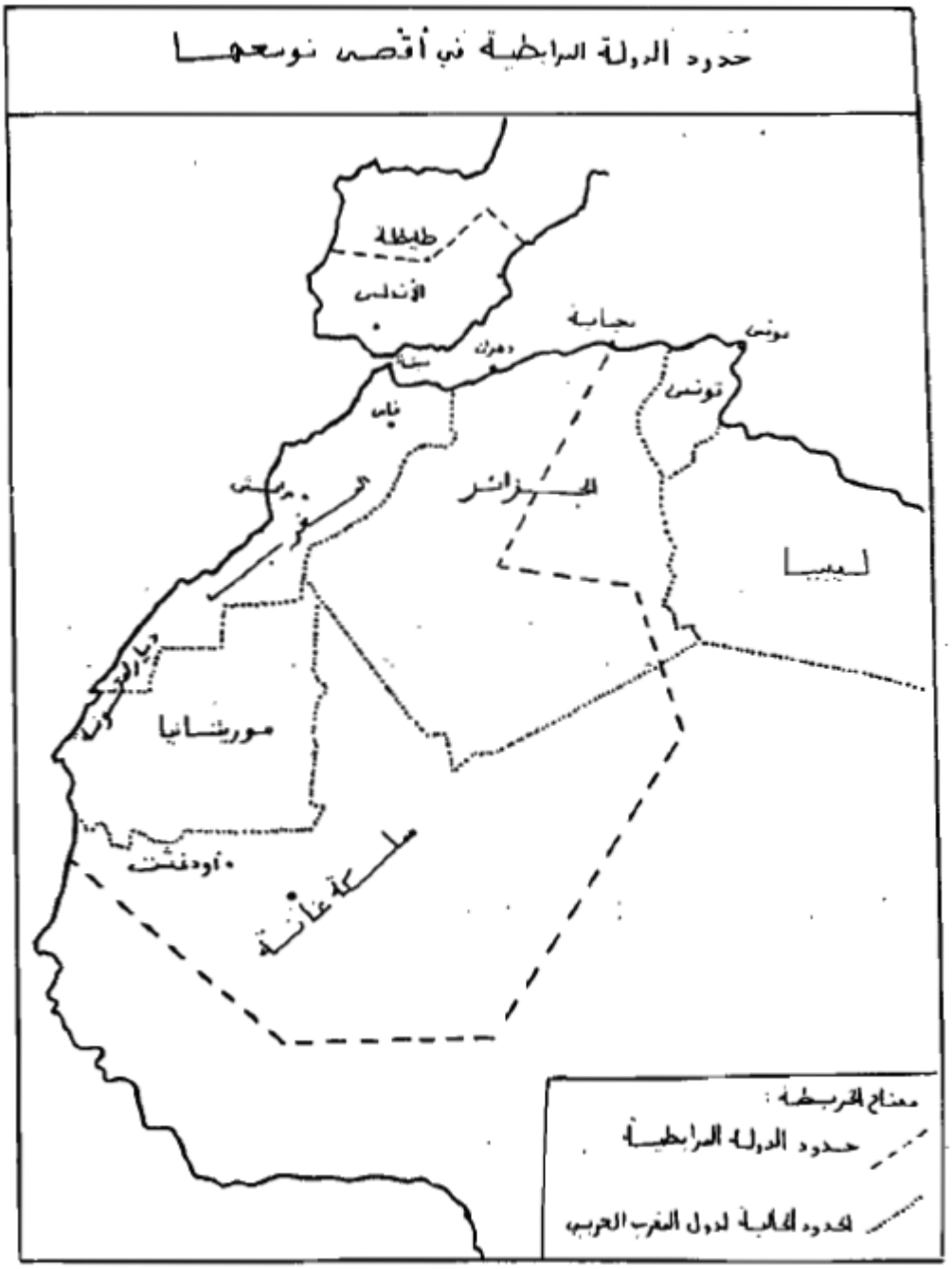

ملحق رقم (08): حدود الدولة المرابطية في أقصى توسعها

إبراهيم القادري بوتشيش، المغرب والأندلس في عصر المرابطين، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ص11.

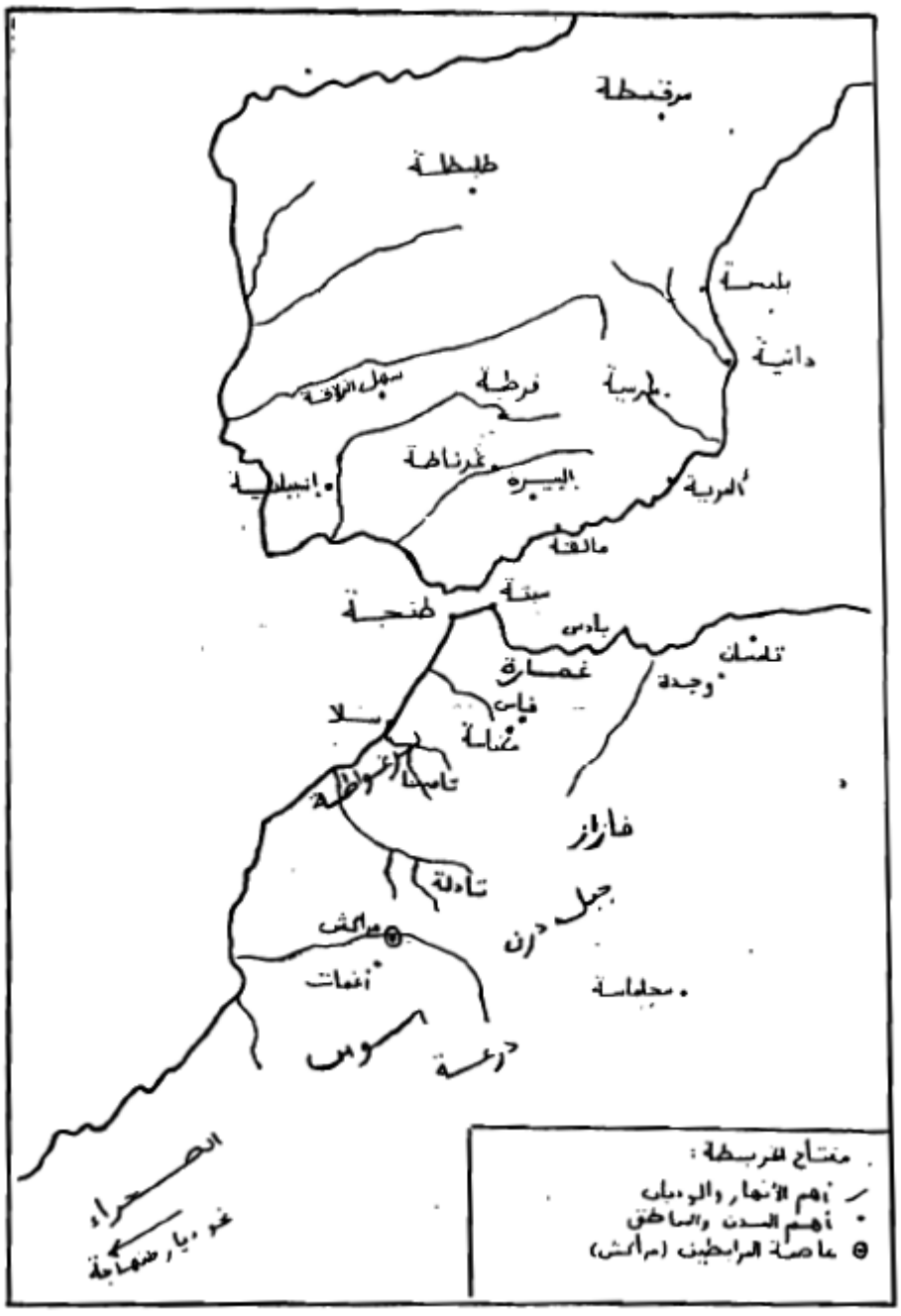

ملحق رقم (09): دولة المرابطين

إبراهيم القادري بوتشيش، ص15.

الفهارس

فهرس الأعلام

-باديس بن المنصور 9 . 26
العزيز بن المنصور 10
ابن الشريف التلمساني 17. 123
ابو الوليد بن عبد الملك 24
ابو الفضل قاسم محمد القرطبي 28
ابو زكرياء الحفصي 27
ابو يعقوب يوسف المنصور 30
ابى زكرياء30
يحي ابن عانية 34
محمد بن عمر 34
ابن المسفر 37
ابى اسحاق بن ابى يحي الشريف السبتى 38
ابى العباس بن يربوع 38
ابى محمد عبد العزيز القيسي 40
ناصر الدين المشدالى41 .125.
عثمان المنقلاتى42
بن زيد الوغليسى43
الشيخ بن عثمان الميكلانى 43
اسد بن الفرات 45
سحنون بن سعيد 45
عبد الله بن الحجاج 47
محمد بن على بن جعفر (المعروف بابن الرمامة)47

ابو عبد الله بن محمد بن صمعان القلعى 47
ابو العباس احمد البرنسى 49
عمر بن البيدوخ ابو جعفر القلعي 51
محمد بن ابى بكر المنصور القلعي 52
الوجال التاهرتى 52
ابن دفرير 55
ابو القاسم عبد الرحمن (ابن القالمى) 55
يحي بن العزيز 55
ابن حوقل 58
البكري 58
الإدريسي 58.96
المعتمد بن عباد 68
ابى بكر بن عمر 69
ابو جعفر احمد بن رزوق 81
القاضي ابو عبد الله بن عيسى 83
الخطيب ابو القاسم 83
لمتاد بن نصير اللمتونى84
ابو عبد الملك مروان اللمتونى 84
ابو الحسن على بن محمد الغرناطي 89
ابو بكر محمد بن على المعافرى السبتى 89
القاضي ابو بكر العربي 92
ابو موسى الجزولي 93
ابن الخطيب 96
ابو الحسن على بن بسام الشنترينى 96

ابو الحجاج يوسف بن موسى الضرير 98
ابو العباس احمد بن عبد الرحمن السرقسطي 98
ابو مروان عبد الملك 99
ابن حمديس الصقلي 119
ابو الفضل النحوي 119.122
الشيخ التعاليم خلوف المعيلى اليهودي 123
ابو عثمان العقباني 125
ابى القاسم السبتى 128
عائشة بن عمارة 56
تميمة بنت يوسف بن تاشفين 95
زينب بنت ابراهيم بن تافلويث واختها حواء 95

فهرس الأماكن و البلدان و القبائل

تلمسان 9 .38.41. 42 .71 .101.120. 122 .129 .130.

المغرب الأوسط 8 . 9 . 10 .11 ,12 .14 .17 . 23 .29 . 31 . 49 . 71. 108 . 111 .
112 .113. 119 .121. 130, 132 .

المغرب الأدنى 8 .29 . 71 .

المغرب الأقصى 8 .29 . 71 .73 . 76 .78. 85 .86 .87. 96. 98. 109. 111. 112.
113. 119 . 130 . 132 .

المغرب 20 .21 .27. 29.30. 40. 44. 49. 58. 63. 64. 68. 71 . 72 . 78 .
80. 81. 100. 102 . 104 . 116. 123.

افريقية 8 .10 .30 . 35 .58 .63. 123. 126 ,

المسيلة 8 .34 .35. 61.

حمزة 8

ملوية 9

الأندلس 17 .30 .38 .40 .47 .51. 56. 58. 62. 65. 72. 78. 81. 82. 86. 96.
109. 115. 116. 119 , 119. 121. 122. 126

دمشق 17

القيروان 25 .35 .50 .112. 116. 126 .

تونس 25 .40 .42 .43. 123. 126.

ملالة 25

نيسابور 29

سبتة 29, 83 .124. 125. 130 .

بنى هلال 35 .108. 109.

صقلية 35 .59
غرناطة 38 .59
وادى سينا 40
بنى زيان 43
القاهرة 43
تاهرت 45
مالقة 47
ملوك الطوائف 56 .79 .86 . 116
مصر 58 .63 .82
السودان الغربي 68
اسبانيا 68 .78
الممالك 68
صنهاجة 69 .70 .108 .110
لمتونة 69 .70
جدالة 69
مسوفة 69
جزولة 69
غدامسن 69
جبال درن 69
بلاد السوس 71
فاس 80 .81 .83 .101 .122 .123 .124 .129 .130 .132
العراق 81 . 122
بغداد 82
الشام 82 .126

هسكورة 86
سجلماسة 101 .129
قرطبة 103

فهرس البحث:

- إهداء

- كلمة شكر

- الفصل الأول: الحياة العلمية و الثقافية بالمغرب الأوسط في العهد الحمادي.....08

- نبذة عن الدولة الحمادية.....08
- التعلم ومؤسساته.....11
- الكتاتيب 11
- وسائل الكتاب ومستلزماته.....13
- طرق التدريس بالكتاب.....14
- المساجد.....18
- المسجد في اللغة.....18
- المسجد اصطلاحا.....19
- نشأة المساجد في العالم الإسلامي.....19
- أهمية المسجدالمؤسسة التعليمية.....20
- المسجد الجامع الأعظم.....23
- جامع ملالة.....25
- الزاوية 26
- الزواية في اللغة.....26
- الزواية اصطلاحا.....26
- نشأة الزوايةوانتشارها.....27
- المدارس.....29

- أشهر العلماء (قلعة بنى حماد).....33
- محمد القلعي.....33
- أبو حسن بن علي محمد المسيلي.....34
- ابن رشيد القيراواني.....35
- أبرز علماء بجاية.....36
- منصور الزاوي.....37
- عبد الرحمن الوعليسي.....39
- أبو عباس أحمد الغبريني.....40
- عمران المشدالي.....41
- عبد الرحمن الثعالبى.....42
- العلوم النقلية.....44
- الفقه وأصوله.....44
- علم الحديث.....47
- علم التفسير.....48
- التصوف.....49
- العلوم العقلية.....51

اللغة العربية وآدابها.....55

- التاريخ والجغرافيا.....58
- أهم الفنون.....59
- الفن المعماري.....59
- الخزف.....63
- الفنون الجميلة.....64

- النقش على الجص.....65
- النقش على البرونز.....66

الفصل الثاني: الحياة العلمية والثقافية بالمغرب الأقصى في العهد المرابطي.....68

- نبذة عن الدولة المرابطية.....69
- التعلم ومؤسساته.....73
- اهتمامالمرابطين بالتعليم.....73
- شروط المعلم المؤدب.....74
- طريقة التدريس.....75
- المدارس.....77
- نشأة المكتبات.....77
- المكتبات عند المرابطين.....78
- خزانة الكتب عند المرابطين.....79
- مشاهير علماء الدولة المرابطين.....81
- أبو وليد محمد بن أحمد بن رشيد الجد.....82
- القاضي الفقيه أبو علي الصدفي.....82
- القاضي الفقيه أبو بكر العربي.....83
- القاضي الفقيه عياض.....84
- مكانة طبقة الفقهاء والعلماء عند المرابطين.....86
- أبرز العلوم النقلية 88
- علم القراءات.....88
- علم التفسير.....90
- علم الحديث.....90

- الفقه وأصوله.....92
- العلوم العقلية.....93
- اللغة العربية وآدابها.....93
- النحو.....94
- الحركة الأدبية (اللغة والأدب).....95
- التاريخ والجغرافيا.....96
- الفلسفة.....96
- علم الكلام.....99
- الطب.....100
- الرياضيات والهندسة.....101
- التصوف.....101
- أهم الفنون.....103
- الفن المعماري المرابطي.....103
- جامع القرويين.....103
- المسجد الجامع بتلمسان.....104
- أثار القلاع والأسوار.....105

الفصل الثالث: الجسور والعلاقات العلمية والثقافية بين الحماديين والمرابطين.....108

- العلاقات التاريخية.....108
- الهجرات العلمية والثقافية.....111
- الرحلة بين المغرب الأوسط والأقصى.....111
- رحلة الحج ودورها الثقافي 112

- الرحلة في طلب العلم.....113
- دور الأمراء في تشجيع الحركة العلمية المرابطين.....113
- دورالأمراءفيتشجيعالحركةالعلمية.....118
- التلاقح الحضاري بين المغربين الأوسط والأقصى 120
- عبد الرحمن بن خلدون.....122
- الأبلي.....123
- أبو العباس الزواوي.....124
- أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمن الجزري التلمساني.....125
- أبو موسى عمران المشدالي.....125
- القاضي عياض.....126
- أبو العباس الغبريني.....127
- ابن القنفذ القسنطيني.....129
- أبو العيش الخزرجي التلمساني.....130
- مدين الشعيب بن الحوسين الإشبيلي.....131
- الإقراء والتدريس.....133
- الخاتمة.....136
- قائمة المصادر و المراجع.....139
- ملحق الصور و الخرائط 157
- فهرس الأعلام.....
- فهرس الاماكن و البلدان والقبائل .....
- فهرس البحث 162